الصراع الإسلامي البيزنطي في السيرِّ الشعبية العربية

قراءة في كتاب "فتوح مصر المحروسة على يِد سيدي عمرو بن العاص رضي الله عنه"[١]

د. عمرو عبد العزيز منير*[٢]

تمهيد:

كثيرًا ما كنت أتساءل عن سر خلو فترة الفتح الإسلامي لمصر من قصص شعبية تسجل البطولات والمعارك التي خاضها أصحاب الدعوة الجديدة، وهم يواجهون في مصر أهم معاقل الروم[٣](بيزنطة) ثانية القوتين العالمتين اللتين كانتا تسيطران على العالم المعروف آنذاك. لقد سجل الأدب الشعبي معارك العرب مع الفرس في سيرة "حمزة البهلوان"، وفي سيرة "عنترة بن شداد"، وفي سيرة "الملك البدر نار بن النهروان بن طيبوش بن قيبوش"[٤] كما سجل أيضًا معارك العرب مع الروم (بيزنطة)[٥] في المشرق في سيرة "الأميرة ذات الهمة". وسجل معارك العرب مع الأحباش في سيرة "سيف بن ذي يزن"، كما سجل معارك العرب مع الصليبيين في سيرة "الظاهر بيبرس"، ولكن هذه المعارك المسجلة في هذه السيَّر الشعبية ليست معارك الفتح، وإنما هى انعكاسات للمعارك

---

١ – اعتمدت في دراستي على مخطوطات عدة للكتاب وإن كانت بعناوين مختلفة .. وقمت بتحقيقها (تحت الطبع بهيئة قصور الثقافة المصرية) .

٢ – مدرس تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة جنوب الوادي .

٣ – "الروم" تسمية أطلقها بعض المؤرخين على البيزنطيين أولا ثم انسحبت في الآداب الشعبية على الصليبيين وظهر صداها قويًا في حكايات ألف ليلة وليلة التي أطلقت مسمى "الروم "على الصليبيين – وإن كانوا يعرفوا بالفرنج أيضًا – ولم تستطع العديد من الكتابات أن تربط بينها ظنًا منهم أن الحكايات تتناول "الروم" أما سيرة "فتوح مصر المحروسة" ، وسيرة "فتوح البَهْنَسَا" فقد تناولت المصطلح على الآخر المسيحي دون فرق كبير بين البيزنطي و الكاثوليكي الغربي.

٤ – من النصوص الشعبية المجهولة في تراثنا العربي وذاكرتنا التاريخية (سيرة الملك البدرنار ابن النهروان ابن طيبوش ابن قيبوش) لمؤلف مجهول في اثني عشر جزءًا . لم نستدل إلا على اسم الناسخ الحاج أحمد الرباط الحلبي الشافعي الذي كان حياً ما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين / الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين .وهى تؤرخ دراميًا لحرب قومية ، تقوم على صراع عتيق بين القومية العربية الإسلامية والقومية الفارسية ، وقد انتهيت من تحقيق الأجزاء الستة الأولى .

٥ – دام الصراع الإسلامي البيزنطي من ٦٢٨م/ ٨هـ حتى فتح القسطنطينية في ١٤٥٣م/ ٨٥٧هـ.

المريرة الطويلة بين العرب والشعوب المجاورة لهم، ثم بين الدولة الإسلامية والدول الطامعة فيها، والمقاومة لتوسعاتها وفتوحاتها المستمرة، ولعل الأمر أن كتب السيرة النبوية، وكتب المغازى، وكتب التاريخ الإسلامي، قد وفت هذه المعارك حقها، أو أن روايات الصحابة عن تجاربهم في جهاد الفتح الإسلامي قد أغنت الوجدان الشعبي، فتبنى هذه الروايات، واكتفى بها، ناهيك عن القداسة التي أحاطت بهذه المعارك، وبمن خاضوها من الصحابة، والتي عقلت جناح الخيال الشعبي فلم يحلق بحرية في هذه المجالات، ناهيك عن أن المثل الإسلامي الأول وهو: الرسول عليه السلام، قد استحوذ بكل الخيال الشعبي، فانصرف يتغنى بصفاته وأعماله في الملاحم النبوية المتعددة؛ التي حازت مكان القداسة عند الكثيرين من المتصوفة وعامة المسلمين، كبردة البوصيري والمعارضات الكثيرة لها والمتنوعة[٦].

وبرغم هذا، ظهرت عدة أعمال شعبية حول الفتوحات الإسلامية، امتزج فيها الخيال الشعبي بالحقائق، وحارب فيها الأبطالُ العرب الكثير من الأعداء والمردة والشياطين والكائنات حبيسة الفولكلور الخيالية، أبرزها ما دار حول فتح اليمن، إذ ظهرت سيرتان منفصلتان، وإن كان البطل فيهما واحدًا، والمؤلف فيهما واحدًا أيضًا[٧]. كما حظيت فتوح الشام والعراق بعمل اختلط فيه الحدث التاريخي بالخيال الشعبي وهو (فتوح الشام) المنسوب للواقدي[٨]، وكل هذا لا يخالف

٦ – فاروق خورشيد: معادن الجوهر جولة في التراث، (سلسلة مكتبة الأسرة، القاهرة ١٩٩٩م)، ص ٩٦ ؛ عمرو عبد العزيز منير: مقدمة تحقيق كتاب فتوح البَهْنَسَا الغراء، القاهرة ٢٠١٢م، ص ١٩.

٧ – القصتان هما: (فتوح اليمن الكبرى الشهير برأس الغول، وما جرى للإمام على الفارس الكرار والبطل المغوار كرم الله وجهه مع عدو الله رأس الغول والبطل المهول) وأيضًا سيرة (الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه وسيرهُ إلى الهضام بن الجحاف بن عون بن غانم الباهلي ملك الجان الملقب بمراة الموت، وقطعه الحصون السبعة حتى وصل إليه ونصره الله عليه وما جرى في ذلك من أنواع الطعن والضرب وإظهار البسالة في ميدان الحرب)، والمؤلف الذي تنسبان إليه وترويان عنه هو (أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن محمد البكرى). ولعل الراوي أو الرواة، أرادوا أن يضفي على روايته المصداقية والجدية التي تتميز بها المؤلفات التاريخية التقليدية، بقصد التأثير على السامعين ، خاصة وأن الرواة اعتادوا استخدام أسماء مؤرخين حقيقيين للإيهام بصدق ما يُروى.

٨ – قدم لنا الواقدي "سيرة فتوح الشام مسجلاً بطولات أبي عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، والزبير بن العوام وغيرهم من الصحابة، ومشركًا المرأة في هذه البطولات وخصوصًا خولة بنت الأزور .

النصوص التاريخية المعروفة، وإنما يزيد عليها ويضيف[٩]، ويجرى خياله في تعميق الأخبار تعميقًا دراميًا، لتتحول إلى أحداث قصصية، فيها الحوار، الانفعال، وفيها المنولوج الداخلي، وتحظى ببعض الحيلة، وببعض الحبكة والإثارة الروائية، ومن هنا خرجت من عباءة التاريخ لتدخل في إطار الرؤية الشعبية للحدث التاريخي، أو ما يمكن أن نسميه البعد الثالث للدراسات التاريخية [١٠].

وظل السؤال قائمًا عن اختفاء مثل هذا الجهد الشعبي في تسجيل فتح العرب لمصر[١١]**؟!** وكنا نؤول الأمر بأن مصر – كما ذكرت المصادر والمراجع التاريخية – قد فتحت

٩ – لم تزل الدراسات التاريخية في وطننا العربي في معزل عن السير الشعبية، وينظر الكثير من المؤرخين الحديثين بالكثير من التشكك إلى الملاحم الشعبية باعتبارها مصدرا تاريخياً بما تعنيه هذه الكلمة من معنى، الأمر الذي دفع غالبيتهم لتجاهل هذه الملاحم، وترك المجال للباحثين في الأدب الشعبي لدراسة تلك الملاحم من منظور مختلف. وعلى أية حال بدأ د. قاسم عبده قاسم اتجاها جديدا للنظر في الأدب الشعبي وإمكانية اعتباره مصدراً تاريخيا يعكس صوت العامة وأحلامهم، وطموحهم وتصورهم للأحداث التاريخية. وقد قدمت نبيلة إبراهيم دراسة رائدة – من منظور الأدب الشعبي– عن سيرة الأميرة ذات الهمة، مع مقارنتها ببعض السير البيزنطية خاصة السيرة المعروفة ديجنيس أكريتاس؛ انظر: قاسم عبده قاسم: بين التاريخ والفلكلور، ط٢، القاهرة ٢٠٠١م؛ نبيلة إبراهيم: سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسة مقارنة، ط٥، المكتبة الأكاديمية، القاهرة ١٩٩٤م، أما عن المستشرقين الأجانب فيتفرد ماريوس كنار Marius Canard بدراساته الرائدة عن ملحمة ذات الهمة، والتي خصها بثلاثة من أبحاثه، كما أن Henri Grégoire قد تعرض لسيرة ذات الهمة ضمن عدد من الأبحاث عن الحقائق التاريخية في الملاحم الشعبية في العصر الوسيط.انظر/ الأمين أبو سعدة : بيزنطة في الملاحم العربية (ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى، تحرير حاتم الطحاوي، دار عين، القاهرة ٢٠٠٣م) ، ص ١٠٧.

١٠ – البعد الثالث للدراسات التاريخية : أي التفسير النفسي والوجداني ورؤية الجماعة الإنسانية لذاتها وللكون والظواهر والأحداث من حولها . للمزيد انظر/ عمرو عبد العزيز: الأساطير المتعلقة بمصر في كتابات المؤرخين المسلمين (مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠١٢م)، ص ١١.

١١ – مصر غنية بحكايات البطولة الشعبية إذ نجدها أرض سيرة سيف بن ذي يزن في حروبه مع الأحباش لاسترداد كتاب النيل انعكاسًا للصراع المصري الحبشي أيام المماليك والذي تزامن مع الحروب الصليبية كأنه قوة ضاغطة لإضعاف قوة المواجهة العربية تجاه الغرب المتستر في حروبه الاستعمارية برداء الدين وخرج بالسيف من الإنجيل ليدفع الحبشة باسم الدين أيضًا أن تشارك في هذه الحروب. وكما أن مصر كانت أرض سيرة الظاهر بيبرس لتسجل حروب الصراع المباشر بين العرب والغزاة الذين يرفعون أمام سيوفهم شعار الصليب. فدور مصر في الجهاد الإسلامي أو كفاح الحضارة الإسلامية ضد الغزاة أبرزه الوعي الشعبي في سيرتين من أهم الموروث العربي الشعبي من السير. ولكن فترة الفتح نفسها لم تحظ بما حظيت به فتوحات الشام على يد أبي عبيدة، وفتوحات فلسطين على يد عمرو بن العاص، وفتوحات

صلحًا، بعد أن عدد لنا ابن عبد الحكم في (فتوح مصر والمغرب) الآراء التي اختلفت حول فتح مصر، هل فتحت صلحًا؟ أم فتحت عنوة؟ . والثابت أن مصر في غالبها فتحت صلحًا[١٢] ما عدا بعض القرى مثل قرية (بلهيب)[١٣]، وقرية (خيس) وقرية (بلطيس)، وكذلك فتحت الإسكندرية في المرة الثانية عنوة[١٤]، أما باقي مصر فقد فتحت صلحًا. ومن هنا فقد كان مجال المعارك الحربية أقل بكثير مما تتيحه معارك الشام والعراق[١٥].

وكان هذا هو التصور الراسخ في أذهاننا إلى أن جاء كتاب **(سيرة فتوح البَهْنَسَا[١٦] الغراء على أيدي الصحابة والشهداء)**[١٧] الذي قدم الرؤية الشعبية للفتح

العراق على يد خالد بن الوليد، وفتوحات اليمن على يد الإمام على بن إبي طالب الذي تحول فيها إلى بطل شعبي من الطراز الأول. انظر/ عمرو عبد العزيز منير : الفتح الإسلامي لصعيد مصر في الوعي المصري الشعبي قراءة في مخطوط فتوح البهنسا الغراء (ضمن أبحاث مؤتمر التاريخ الحربي عبر العصور ، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ٢٠١٢م) ، ص ٦١ – ٩٠.

١٢ – "قال ابن عبد الحكم: حدثني عثمان بن صالح، أخبرنا الليث، قال: كان يزيد بن أبي حبيب يقول: مصر كلها صلح إلا الإسكندرية، فإنها فُتحت عنوة". انظر / السيوطي : حسن المحاضرة ١/ ١٢٥.

١٣ – بَلْهِيبُ : بالفتح ثم السكون، وكسر الهاء، وياء ساكنة، وباء موحدة: من قرى مصر، كان عمرو بن العاص حيث قدم مصر لفتحها صالح أهل بلهيب على الخراج والجزية وتوجه إلى الإسكندرية، فكان أهل مصر أعوانا له على أهل الإسكندرية إلّا أهل بلهيب وخيس وسلطيس وقرطسا وسخا، فإنهم أعانوا الروم على المسلمين، فلما فتح عمرو الإسكندرية سبى أهل هذه القرى وحملهم إلى المدينة وغيرها، فردّهم عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إلى قراهم وصيّرهم وجميع القبط على ذمة. انظر/ ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي) : معجم البلدان (ط٢ ، دار صادر ، بيروت ١٩٩٥م) ، ٤٩٢/١.

١٤ – للمزيد راجع / ألفريد بتلر : فتح العرب لمصر ، (ترجمة محمد فريد أبو حديد ، ط ٢ ، لجنة التأليف ، القاهرة ١٩٤٦م) ، ص ٢٨٨–٢٤٠.

١٥ – فاروق خورشيد: مرجع سابق، ص ٩٥ ؛ عمرو عبد العزيز مقدمة تحقيق فتوح البَهْنَسَا، ٣٢، ٣٣.

١٦ – البَهْنَسَا بلدة بمركز بني مزار بمحافظة المنيا ، تقع بين بحر يوسف ، وسفوح التلال من سلسلة الجبال الليبية ، على مسيرة ١٥ كيلو مترًا غربي بني مزار ، وهى محطة للسكة الحديدية على بعد ١٩٨ كيلومترًا جنوب القاهرة ، واسمها تصحيف للفظ مصري قديم "بمادا" وكانت قديماً عاصمة الإقليم التاسع عشر من أقاليم الصعيد ، ومركزًا لتقديس المعبود "ست". محمد رمزي : القاموس الجغرافي ، ق ٢ ، ج ٣ ، ص ٢١١ ؛ عمرو عبد العزيز : مقدمة تحقيق البهنسا ، ص ٦٧.

الإسلامي **لصعيد** مصر (مصر العُليا) ؛ ثم تبعه كتاب – نحن بصدده – بعنوان "**فُتُوحُ مِصْرَ المَحْرُوسَةِ عَلَى يَدِ سَيِّدِي عَمْرِو بن العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**" والذي يعد أول رؤية ورواية شعبية للفتح الإسلامي **للوجه البحري** (مصر السفلى)، وليرد كل منهما على العديد من التساؤلات، ويقدمان نصًا شعبيًا يتناول فتح العرب لمصر تناولاً يمزج بين الحقيقة والخيال، ليحرراه من قيود التاريخ وصرامته، وانطلاقه في رحاب الإبداع الفولكلوري بشكل واضح وصريح، **وهو على كل حال يؤكد أن فتوح مصر لم تمر على الوعي الشعبي دون استجابة يقظة، وانتباه واع، بدور الشعب في تسجيل بطولات هذا الحدث** ويساعد في تصور السياق العام للحدث التاريخي، ويسد الفجوة الناتجة عن عجز المصادر التاريخية التقليدية عن سدها، وبعث الحياة في الهيكل العظمي للحقائق التاريخية الجافة، التي تحملها المصادر، عن أحداث وتفاصيل الفتح. [١٨]

وعلى عكس الملاحم العربية الأخرى: **يدور محورها الأساسي** وبعداها الزماني والمكاني حول دائرة المعارك الإسلامية البيزنطية في شمال مصر[١٩]، كما أنها سيرة قصصية وتاريخية؛ تكاد تكون مجهولة عند كثير من الباحثين فى التاريخ والآداب الشعبية الذين لم يلتفتوا إليها، ولم يدققوا نصوصها، أو يبحثوا موضوعها باستفاضة؛ لتشعب وتعقد أحداث السيرة. وإذا

---

١٧ – العنوان الكامل للسيرة "قصة البَهْنَسَا هذا الْكِتَاب حكاية لغزوة من أعز الغزوات الإسلامية وَقصة فتح مبين للصحابة المحمدية عليهم رضوان الله الصمدية وَفيها نوادر غريبة وَوقائع عجيبة وَما وَقع فِي أرض البَهْنَسَا" أما عن الخلفية التاريخية للملحمة فتدور القصة بصفة أساسية حول فتح أحد أقاليم مصر الوسطى، تبلورت رؤية شعبية مصرية بما حوته من نبوءات (جاءت بأثر رجعي بعد حدوث الفتح)، وحكايات أسطورية تشرح وتفسر وتقيم جسرًا على الفجوة بين ما حدث بالفعل، وبين الروايات الجزئية للمؤرخين والوثائق (التي تشكل جزءًا من التاريخ ولكنها ليست التاريخ كله). وقد حملت هذه الرؤية أو القراءة الشعبية لأحداث الفتح الإسلامي لصعيد مصر فقط. وقد قمت بتحقيقه ، وتم نشره ضمن الأعمال الفائزة بجائزة تحقيق التراث بهيئة قصور الثقافة المصرية بالقاهرة عام ٢٠١٢م.

١٨ – ومن هنا تبرز أهمية اعتماد المؤرخ على "الموروث الشعبي" إلى جانب مصادره التقليدية؛ ذلك أن المزاوجة بين هذين النوعين من المصادر يساعد المؤرخ على استيعاب الظاهرة التاريخية ورسم صورة كلية لها .للمزيد انظر / قاسم عبده قاسم: بين التاريخ والفولكلور ، ص٤٤.

١٩ – تشترك سيرة الأميرة ذات الهمة مع سيرة فتوح البَهْنَسَا في موتيف الصراع البيزنطي الإسلامي.

حكمنا بعدد **عناوين المخطوطات والروايات المختلفة للرواية** التي بقيت من الكتاب بعناوينه المتعددة ؛ (فتوح مصر المحروسة)[٢٠] أو (فتوح مصر وأعمالها)[٢١]، أو (فتوح مصر والفيوم والإسكندرية ودمياط وغيرها من الجزاير والبلاد)[٢٢] يمكن القول: إن صاحبها كان **مؤلفا شعبيا**، وقد مال نفر من الدارسين إلى معالجة تحفته السردية باعتبارها **عملا في التاريخ لا قصة تاريخية**[٢٣]، وعلى الرغم من أن الأستاذ "**هنريك آرند همقر**" نشر هذه السيرة برواية مشابهة سنة ١٨٢٥م . بعنوان "**كتاب فتوح مصر والإسكندرية**"[٢٤]، ونسبها إلى أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني واعتبره مصدرًا أصيلا، ومهما من **مصادر التاريخ** التي **تروي قصة الفتح الإسلامي لمصر**، فإننا لا نتفق معه في الشطر الأول من رؤيته، بينما نوافقه الرأي على أنه يدخل ضمن "القصة التاريخية"[٢٥] فقد كان النص ملهمًا لـ"ألفريد بتلر" في كتابه "فتح العرب لمصر" ووضعه في مقدمة الكتب المهمة التي استفاد منها في تأليفه لكتابه عن الفتح، وأشاد بقيمة الواقدي بقوله:" فقد كان من أول مؤرخي العرب وأعظمهم قدرًا الواقدي (٧٤٧–٨٢٣ للميلاد)، وقد ضاع كتابه ولم يبق منه إلا المقتبسات الكثيرة والإشارات العديدة التي بقيت في كتب المؤرخين الآخرين".

---

٢٠ – مخطوطة بعنوان (كتاب فتوح مصر المحروسة على يد سيدي عمرو بن العاص) ومتاحة بدار الكتب والوثائق المصرية تحت رقم (١٠٠ الحُسينى).

٢١ – مخطوط مصور بدار الكتب بالقاهرة برقم ١٠٥٨تاريخ تيمور ؛ ومخطوط آخر بعنوان هذا كتاب فتوح مصر وأعمالها للشيخ الإمام ابن إسحق الأموي نفعنا الله به وببركاته في الدنيا والآخرة آمين" متاح بدار الكتب والوثائق المصرية تحت رقم (١٤٢٠ زكية).

٢٢ – مخطوط بعنوان "فتوح مصر والفيوم والإسكندرية ودمياط وغيرهم من الجزائر والبلاد تأليف العالم العلامة الواقدي رضي الله عنه وأرضاه" ، بدار الكتب والوثائق المصرية برقم ١٧٨٤تاريخ تيمور.

٢٣ – حول أبعاد العلاقة بين التاريخ والقصة التاريخية راجع / روبرت إروين : ابن زنبل وقصة التاريخ ، ص ٢٦ وما بعدها .

٢٤ – نشرها هنريك آرند همقر في ليدن سنة ١٨٢٥م برواية مختلفة بعنوان (فتوح مصر والإسكندرية) المنسوب إلى المؤلف ، الشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني.

٢٥ – روبرت إروين : ابن زنبل وقصة التاريخ (ضمن كتاب الكتابة وأشكال التعبير في إسلام القرون الوسطى آفاق المسلم ، تحرير : جوليا براي ، ترجمة : عبد المقصود عبد الكريم ، إصدارات المركز القومي للترجمة ، العدد ٢٦١٩، ط١، القاهرة ٢٠١٥م) ، ص٦٩.

وأشار بتلر إلى هذا الكتاب الذي نحن بصدده وأكد أنه منسوب للواقدي :"وأما تلك الكتب التي تحمل اسمه مثل كتاب" فتوح مصر" فإنها تنسب إليه خطأ ولكنها في العادة تذكر منسوبة إلى اسمه تسهيلا في القول، بدل أن يقال إنها تأليف " المدّعي بأنه الواقدي"(٢٦).

القراءة الأولى للنص تشي بأنه كان محلا للرواية الشفوية على نطاق واسع، **تلبية لحاجة اجتماعية:** مثل التأكيد على حق القبائل وأحفاد من شاركوا بالفتوح، بعد أن شعر أحفاد الفاتحين الأصليين أنهم مهمشون ومستبعدون عما كانوا يرون أنه مكافآتهم العادلة(٢٧). أو تلبية لحاجة ثقافية عند الجمهور الذي كان تواقًا إلى معرفة وقائع النهاية والبداية: نهاية الروم المسيحيين (البيزنطيين) في مصر وبداية العرب المسلمين، وزاد الرواة فيها، بل واختلقوا فيها لخدمة أغراض جديدة، ولتبرير مزاعم الحق في الحصول على الرواتب، أو حقوق التمتع بعمليات فرض الضرائب؛ فالرجال الذين استطاعوا البرهنة على أن أسلافهم قد شاركوا في الفتوح الباكرة؛ كانوا يشعرون بأن من حقهم الحصول على رواتب من بيت المال، أما سكان المدن فربما كانوا يأملون في تخفيف الضرائب عنهم، وأنهم قد استسلموا صلحًا للجيوش المسلمة، وباختصار فقد تم حفظ قصص الفتوح، ليس بسبب الاهتمام بإنتاج سرد تاريخي واضح فقط، ولكن لأنه كان هناك شعور بأن ذلك أمر مفيد، ومن ثم فإن المادة التي لم تكن مفيدة، مثل التأريخ التتابعي المضبوط للأحداث، كانت تُلقي في زوايا النسيان(٢٨). وأبدى الرواة اهتمامًا ببعض جوانب الفتوح، وكانوا أقل اهتمامًا بجوانب أخرى قد تبدو في عيوننا اليوم أكثر أهمية(٢٩).

مما أعطى سمةً أخرى في هذه السيرة تتمثل في: الهوس بمعرفة المشاركين في الفتح الإسلامي بأسمائهم، وبطبيعة الحال، لا ينطبق هذا سوى على المشاركين من

---

٢٦ – ألفرد . ج. بتلر : فتح العرب لمصر ، ص٢٣.

٢٧ – هيو كينيدي : الفتوح الإسلامية كيف غير انتشار الإسلام العالم الذي نعيش فيه (ترجمة: قاسم عبده قاسم، دار عين للدراسات ، القاهرة ٢٠١٥هـ) ،ص ٣٩ ، ٤٠.

٢٨ – هيو كينيدي : الفتوح الإسلامية ، ص ٢٦.

٢٩ – المرجع السابق ، ص٤٠.

العرب المسلمين، وتقدم لنا في الوقت ذاته صياغات عربية لأسماء أهم قادة جيوش أعدائهم، ولكنها تتعامل مع هذه الجيوش وكأنها جمهرة من الأسماء المجهولة، ويتم إعداد قوائم الأسماء العربية بعناية ودقة دافعها الحب، وإثبات مشاركة القبائل في الفتوح لأغراض اقتصادية، وهى قوائم كثيرا ما تتناقض كل منها مع الأخرى، أو تأتي بصيغ متعددة بتعدد المخطوطات الحاملة للقصة(٣٠).

مع الأخذ في الاعتبار: الإشارات التي تفيد **تداول مخطوطات هذه النصوص** منذ فترة باكرة حتى القرن التاسع الهجري(٣١)، كما وصلت لنا نسخ أخرى من القرن الثالث عشر الهجري، مع وجود اختلاف بين النسخ واختلاف نسبتها إلى مؤلفيها، وأن بعضًا منها يحمل روايات يغلفها الخيال؛ وهى من لوازم الحكاية الشعبية، لا سيما إذا كانت تدور حول حدث تاريخي حقيقي ، ومن الطبيعي أن ينطبق هذا على المخطوط الذي يحمل حكاية مثل حكاية سقوط حكم الروم البيزنطيين وبداية حكم العرب المسلمين.

في الوقت نفسه: ليس من المقبول، علميا أو منهجيا، **المقارنة بين نص هذا الكتاب (فتوح مصر المحروسة) ونص كتاب " فتوح مصر وأخبارها"** لابن عبد الحكم، على الرغم من أن النصين يدوران حول حدث تاريخي واحد: سقوط الحكم البيزنطي وبداية الحكم الإسلامي، بعد الصدام العسكري والسياسي بينهما، إذ إن كلا من الكتابين ينتمي إلى نمط من الكتابة يختلف عن النمط الذي ينتمي إليه الكتاب الآخر . كما كان ابن عبد الحكم مؤرخًا؛ مهمته أن يبحث عن الحقيقة ويسجلها، وإن تسربت إلى روايته بعض الحكايات الشعبية(٣٢)، ولكنها في أغلبها اقتصرت على ما يتعلق بفضائل مصر وتاريخها القديم(٣٣).

---

٣٠ – المرجع السابق ، ص ٣٠.

٣١ – بمكتبة أحمد الثالث توجد مخطوطة يرجع تاريخ نسخها إلى القرن التاسع الهجري (899هـ / ١٤٧٨ م) برقم "أحمد الثالث ٢٨٩٠". منسوبة إلى الواقدي بعنوان " فتوح مصر" .

٣٢ –إبراهيم أحمد العدوي، ابن عبد الحكم رائد المؤرخين العرب،(مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٣م)، صـ ٦٩

٣٣ –ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب(تحقيق: علي عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٤م)، صـ ٢٨ ، وما بعدها .

على حين كان الراوي في "فتوح مصر المحروسة" يدخل إلى تاريخ الفتح الإسلامي لمصر من بوابات الخيال والحبكة الدرامية الواضحة في روايته[٣٤]، ولا بأس في أن نورد مثالا، في هذه الدراسة، على الرغم من أن نص "فتوح مصر المحروسة" يحفل بأمثلة عديدة لا تكاد تخلو منها صفحة واحدة من صفحات الكتاب؛ فنجده يسرد ما تعرض له بعض الجنود المسلمين في الأسر، وكيف تم تحريرهم على يد "رينا أخت مارية"[٣٥] وفي سياق هذا نجد الذهنية الشعبية تبحث عن السطور المفقودة في حياة مارية القبطية (التي تسرى بها النبي صلى الله عليه وسلم) وتنقب عن الشخصيات الثانوية كي تكتمل الحبكة الدرامية لديها؛ لأن القراءة الشعبية لتاريخ مارية القبطية، كانت تحتوي في عناصرها علي مسائل أخرى شغلت الضمير الجمعي، ووجدتها فرصة لأن تطرحها في إطار رؤيتها الشعبية للأحداث في سياق بحثها المستميت عن العناصر المنسية والناقصة والقلقة في الحدث التاريخي[٣٦].

فيورد النص التالي :

" ثُمَّ وَكَّلَ بِهِمْ جَارِيَةً مِنْ جَوَارِه ، كَانَ اسْمُهَا «رِينَا» بَعْدَمَا حَطَّهُمْ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ فِي دَارِ الإِمَارَة، وَأَمَرَهَا بِحِفْظِهِم، وَأَسْلَمَ إِلَيْهَا مِفْتَاحَ البَيْت، وَأَمَرَهَا أَنْ تَدْخُلَ عَلَيْهِم بِمَا يُقَوِّتُهُمْ مِنْ مَأْكُولٍ وَمَشْرُوب؛ فَامْتَثَلَتْ مَا أَمَرَهَا بِه. ... وَدَخَلَتْ عَلَى يُوقَنَا وَأَصْحَابِه، وَقَالَت: لا خَوْفٌ عَلَيْكُم، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَلْقَى رَحْمَتَكُمْ فِي قَلْبِي، وَاعْلَمُوا أَنِّي أَنَا أُخْتُ مَارِيَةَ القِبْطِيَّةِ الَّتِي أَهْدَاهَا المَلِكُ المُقَوْقِسُ لِنَبِيِّكُمْ، وَإِنِّي إِذَا خَلَّصْتُكُمْ أُرِيدُ مِنْكُمْ أَن تُوصِلُونِي إِلَى مَدِينَةِ نَبِيِّكُمْ لَعَلِّي أَرَى أُخْتِي، وَإِنِّي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَحُلَّكُمْ مِنْ وِثَاقِكُمْ، وَأُسَلِّمَ إِلَيْكُمْ لامَةَ حَرْبِكُمْ."[٣٧]

هذا النص وغيره من النصوص الواردة في السيرة لا يمكن أن يكون نصًا خاضعًا **لشروط الكتابة التاريخية**؛ التي خضع لها النص الذي كتبه المؤرخ ابن عبد الحكم، أو غيره من مؤرخي مصر الإسلامية، على الرغم من صحة الإطار العام للحدث التاريخي والأشخاص التاريخيين،

٣٤ – قاسم عبده قاسم : واقعة السلطان الغوري ، ص ٢٤ ، ٢٥ بتصرف ؛ وانظر نص السيرة تحقيق عمرو عبد العزيز منير (القاهرة ٢٠١٥).

٣٥ – انظر السيرة ، ق١١و.

٣٦ – عمرو عبد العزيز منير : الأساطير ، ص ١٢٢؛ محمد عبد الله عنان: مؤرخو مصر الإسلامية ، صـ ١١.

٣٧ – المخطوط ق ٤٢و.

فضلا عن المسرح الجغرافي الذي دارت عليه وقائع الحدث، والمثال الأخير على هذه الخصائص التي تقرب نص "فتوح مصر المحروسة" من الحكاية الشعبية، بقدر ما تبعده عن الكتابة التاريخية[٣٨]: نص طويل احتل عدة صفحات تتناول المشاهد والحوارات التي تخيل الراوي أنها وقعت منذ لحظة وقوع الجند المسلمين في الأسر حتى تحريرهم. وعلى الرغم من التصوير الدرامي الرائع فيما كتبه راوي سيرة فتوح مصر المحروسة، فإن النص ينتمي، دونما شك، إلى ذلك النمط الباكر من "الرواية التاريخية"؛ الذي تختلط فيه حقائق الأحداث التاريخية مع تفاصيل خيال المؤلف، بشكل يصعب تحديد مداه .

ويبدو أن **النص الشفاهي لسيرة "فتوح مصر المحروسة" كان واسع الانتشار**؛ لأن الحكاية التي يحملها كانت حكاية النهاية لدولة الروم المسيحية في مصر، وبداية عهد جديد تم استدعاؤه في ظل ظروف تاريخية قاسية، وتحت وطأة الضربات الموجعة من الغرب المسيحي، والتي استطاعت أن تؤسس إمارات في جسد الأرض العربية في فلسطين والشام، وتهدد البقاع المقدسة في الحجاز، وكان الحكي والقص الشعبي من أهم ما استقوى به الناس ضد واقع مرير سياسيا واجتماعيا واقتصاديًا[٣٩] وقد ظلت هذه الراوية، مع ما يشابهها من روايات شعبية أخرى، تحظى بالاهتمام، وتلقى الرواج؛ بدليل وصول نسخ مخطوطة له إلى القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي. كما يجب أن نضع في اعتبارنا أن مجتمع ذلك الزمان كان بحاجة إلى كل من المؤرخ والراوي الشعبي (القصاص) بسبب الظروف التاريخية السائدة في المجتمع آنذاك.

وعلى الرغم من أن **الكتاب المنسوب إلى كل من "الواقدي" أو إلى من يُدعى "ابن اسحق الأموي"**[٤٠] يبدو في شكله وكأنه من نمط الكتب التاريخية التي تم تأليفها حول حدث بعينه، والتي اصطلح المؤرخون على تسميتها "الرسائل التاريخية" ذات الموضوع

---

٣٨ – قاسم عبده قاسم : واقعة السلطان ، ص ٢٦ بتصرف.

٣٩ – واقعة السلطان ، ص ٢٧ بتصرف.

٤٠ – انظر/ يوسف هوروفقس : المغازي الأولى ومؤلفوها ، (ترجمة : حسين نصار ، طبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٩م) ، ص ٧٥ ، ما بعدها ؛ صلاح الدين عاوور : الرواية الشفوية وأهميتها في حفظ التاريخ ، (مجلة المؤرخ العربي ، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ١٩٩٩م) ، ص ١٧.

الواحد، التي كان كل منها استجابة لحاجة ثقافية/اجتماعية فرضتها الظروف التاريخية[٤١]، ومع أن المؤلف كان يتحدث عن حدث تاريخي حقيقي، وأورد أسماء حقيقية للأشخاص الذين أسهموا في هذا الحدث، كما ذكر أسماء الأماكن والبقاع التي دارت فيها أحداث الحكاية التي يحكيها، فإن استخدام لغة الحوار بين شخصيات الحكاية، في معظم أجزاء الكتاب ، وحديثه عن الأفكار والمشاعر التي تختلج في نفوس أبطال حكايته، على الجانبين الإسلامي والبيزنطي ، يكشف لنا بوضوح عن طبيعة **وأسلوب الكتاب الذي يفتقر إلى الكثير من مقومات الكتابة التاريخية** التي مارسها مؤرخو مصر الإسلامية[٤٢].

فالراوي الذي يصور في خياله أجواء المداولات التي تتم في المعسكر البيزنطي أو في قصر المقوقس، وطرق اختيار الرسل والتزاجمة، والوقوع في غرام الأبطال المسلمين أو التعاطف معهم، ونص الحوار الذي دار بين أَرْمَانُوسَّة[٤٣] ورسل المسلمين أو بينها وبين جنودها أو الحَاجِب ثِيلاطُوس[٤٤]، كما أن الحديث عن تفاصيل المناظرات بين البطاركة والجنود المسلمين أو وصف "المَلِكِ أَرِسْطُولِيسَ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ، وَالحُجَّابُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَمَالِيكُهُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ قِيَامٌ، وَأَيْدِيهِم عَلَى مَقَابِضِ سُيُوفِهِم، وَعَلَيْهِم أَقْبِيَةُ الدِّيبَاجِ المُلَوَّنِ، وَفِي أَوْسَاطِهِمُ المَنَاطِقُ المُرَصَّعَةُ بِأَنْوَاعِ فُصُوصِ الجَوَاهِرِ، وَبِأَيْدِيهِم أَسَاوِرَةُ الذَّهَب."[٤٥]، والحديث عن الجمال وحسن الهندام الذي يقصد به إبهار الخصم، كأنه من حكايات "ألف ليلة وليلة" أو السير الشعبية العربية مثل "سيرة فتوح البهنسا الغراء"، "الأميرة ذات الهمة"، أو "الظاهر بيبرس" وغيرهم من السير الشعبية العربية التي كانت تروى في تلك العصور[٤٦] .

---

٤١ – قاسم عبده قاسم : في تطور الفكر التاريخي ، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، القاهرة ٢٠٠٤م) ، ص ١٢٦.

٤٢ – قاسم عبده قاسم : في تطور الفكر التاريخي ، ص ١٢٧ ؛ محمد عبد الله عنان: مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري (مكتبة الأسرة، القاهرة ١٩٩٩م)، صـ ١٢ ، وما بعدها .

٤٣ – في السيرة تظهر أَرْمَانُوسَّةَ هى زوجة المَلِك قُسْطَنْطِينَ بْنَ هِرَقْلَ وابْنَةِ المَلِكِ المُقَوْقِسِ صَاحِبِ مِصْرَ، وَكَانَ أَبُوهَا قَدْ جَهَّزَهَا بِأَمْوَالِهَا وَجَوَارِيهَا إِلَى بِلْبِيس، عَلَى أَنَّهَا تَسِيرُ إِلَى زَوْجِهَا قُسْطَنْطِينَ بْنِ هِرَقْلَ. انظر/ سيرة فتوح مصر ق١٣.

٤٤ – سيرة فتوح مصر المحروسة ، ق١٣ ، ق١٤ ، ق١٥ ، ق١٦ ، ق١٧، ق١٨.

٤٥ – سيرة فتوح مصر المحروسة ، ق ٢٥ ،ق ٢٦ ، ق٣٣ ، ق٣٤، ق٣٧.

٤٦ – انكر ابن الحاج في المدخل إلى اشرع الشريف ، وغيره من رجال الدين هذه القصص التي كانت تروى للعامة ، للمزيد انظر/ ابن الحاج " أبو عبد الله محمد بن محمد العبدرى الفاسى والمالكى" "ت٧٣٧هـ/ ١٤٧٣م" : المدخل إلى الشرع الشريف ، (دار التراث ، القاهرة د.ت)، ج٤، ص٨٠ . بن الأخوة " محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد القرشي " "ت ٧٢٩هـ" : معالم القربة في طلب الحسبة ، (تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠١م) ، ص ١٩٠.

أما عن عنوان السيرة وإشكالية المؤلف: العنوان الكامل للسيرة "فُتُوحُ مِصْرَ المَحْرُوسَةِ عَلَى يَدِ سَيِّدِي عَمْرِو بن العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ"، يعد العنوان من أهم العتبات الدلالية التي توجه القارئ إلى استكناه مضامين النص الشعبي/ التاريخي، وتفكيك شفراته واستكناه محمولاته الدلالية، بما يعطيه من انطباع أولي عن المحتوى(٤٧). والواضح من عنوان السيرة: أن البطولة في هذا العمل مقصودة للمكان، وهو مصر، فهو المعني بهذا الكتاب وهو محوره، وذكر حكاياتها مع الفتح الإسلامي.

يُنسب كتاب " **فُتُوحُ مِصْرَ المَحْرُوسَةِ عَلَى يَدِ سَيِّدِي عَمْرِو بن العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**" إلى اثنين من المؤلفين وهما **الواقدي**(٤٨) **(١٣٠ – ٢٠٧هـ)، ومحمد بن اسحق الأُموي**(٤٩) وبمناقشة الجوانب المختلفة المتعلقة بإشكالية المؤلف، ولغة السيرة ومصطلحاتها، نخلص إلى عدم

---

٤٧ – أحمد فرشوخ، جمالية النص الروائي، مقارنة تحليلية لرواية "لعبة النسيان"، (درا الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط١،1996 م)، ص ٢٢؛ محمد فكري الجزار : العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي ، (سلسلة دراسات أدبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٨م) ، ص ٨ .

٤٨ – الواقدي (١٣٠ – ٢٠٧) أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد (الأسلمي مولاهم) الواقدي المدني – مولى بني هاشم قاضي بغداد، وكانت امه من أحفاد سائب خائر الذي كان أول من غنى قصائد عربية في المدينة، والذي حضر والده من فارس إلى المدينة أسير حرب، ولذلك يجري في عروق الواقدي بعض الدم غير العربي، ويعد من أقدم مؤرخي الإسلام كان مولده بالمدينة واتصل ببني العباس عام ١٨٠هـ. فاستقضاه الرشيد والمأمون زمنا طويلا – صنف كتبا كثيرة عددها صاحب كتاب الفهرست منها كتاب المغازي منها كتاب في فتوح الأمصار ذكره البلاذري والمسعودي وهو تأليف أخذته يد الضياع قال ابن خلكان في ترجمة الواقدي: وضعفوه في الحديث وتكلموا فيه وكذلك أبو جعفر الطبري يغلطه في مواطن كثيرة وفي أحاديث عديدة لاسيما في تاريخ الوقائع وفتوح البلدان. قال احمد بن عبد الله بن صالح: ما رأيت أحدا احفظ للحديث منه وقيل فيه هو كذاب ليس بثقة ولا يكتب حديثه. وفي الفهرست: قال محمد بن اسحق قرأت بخط عتيق قال: خلف الواقدي بعد وفاته ستمائة قمطر كتبا كل قمطر منها حمل رجلين وكان له غلامان مملوكان يكتبان الليل والنهار وقبل ذلك بيع له كتب بالفي دينار قال الذهبي: مات الواقدي وهو على القضاء سنة سبع ومائتين في ذي الحجة واستقر الإجماع على وهن الواقدي اهدفن بمقابر الخيزران ببغداد في الجانب الغربي. نقلاً عن / اليان سركيس: معجم المطبوعات العربية (مطبعة سركيس، القاهرة ١٩٢٨م) ؛ يوسف هوروفقس: المغازي الأولى ومؤلفوها ، ص ١٠١.

٤٩ – نجد محاولة من الراوي للخلط بين اسم (محمد ابن إسحق الأموي) ، وبين (محمد بن إسحاق بن يسار المدني) الذي عُرف باهتمامه البالغ في علم المغازي ، حتى كان أول من جمع المغازي في مصنف كامل ، وهو مؤلفه الذي اشتهر به – ولم نقف له على غيره – عُرف بـ " المغازي "، ولم يظهر حتى الآن كاملا ، وإنما طبع قسم منه بتحقيق الدكتور محمد حميد الله ، وطبع أيضا القسم نفسه بتحقيق الدكتور سهيل زكار ، غير أن الكتاب حفظ لنا من خلال اختصار ابن هشام له ، فيما يعرف بـ " السيرة النبوية " لابن هشام الذي روى مغازي ابن إسحاق عن تلميذ ابن إسحاق زياد البكائي المتوفى سنة ١٨٣هـ.

نسبة سيرة "فُتُوحُ مِصْرَ المَحْرُوسَةِ عَلَى يَدِ سَيِّدِي عَمْرِو بن العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ" إلى الواقدي لأسباب منها: أن طبعة كتاب "فتوح الشام"[٥٠] التي ورد بها أخبار عن فتوح مصر والبهنسا[٥١]. اقتصرت على ذكر فتح العرب لصعيد مصر، ولم تتطرق إلى الإسكندرية أو دمياط أو شمال الدلتا ، كما أن النص المتعلق بفتوح البهنسا حوله العديد من الشكوك يعضدها الشواهد ومنها: أنه قد ورد فيها أسماء لأماكن عديدة في صعيد مصر بمسميات لم تكن قد استحدثت زمن الواقدي (المتوفي: ٢٠٧هـ/٨٢٢هـ) إذ نجد عند الواقدي ذكر لـ"قرية الجرنوس[٥٢] "في فتوح الشام، ثم في سيرة فتوح البهنسا. وهذا المسمى لم يكن قد أُطلق على القرية إلا فيما بعد[٥٣]. والشواهد عديدة حول عدم نسبة

٥٠ – الواقدي "محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله "ت ٢٠٧هـ" : فتوح الشام "دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٧م " .

٥١ – الراجح أن الرواية المتعلقة بالبهنسا في فتوح الشام منسوبة إلى الواقدي في عصر متأخر إذ نجده يدخل مباشرة في الحديث عن البَهْنَسَا بخلاف التسلسل الزمني والمكاني الذي اعتمده في سياق حديثه عن بلدان الشام، فلم يذكر فتوح القاهرة الإسكندرية كتمهيد طبيعي للحديث عن فتوح الصعيد والفيوم والبهنسا.

٥٢ – عند ياقوت: " إِرْجَنُّوسُ: بالكسر ثم السكون، وفتح الجيم، وتشديد النون وفتحها، وسكون الواو، وسين مهملة: قرية بالصعيد من كورة البهنسا." وعند المقريزي " ذكر إرجنّوس هذه المدينة من جملة عمل البَهْنَسَا، بها كنيسة بظاهرها، فيها بئر يقال لها بئر سيرس صغيرة، لها عيد يعمل في اليوم الخامس والعشرين من بشنس أحد شهور القبط، فيفور بها الماء، عند مضي ست ساعات من النهار حتى يطفو، ثم يعود إلى ما كان عليه، ويستدل النصارى على زيادة النيل في كل سنة، بقدر ما علا الماء من الأرض، فيزعمون أنّ الأمر في النيل وزيادته يكون موافقا لذلك" ياقوت : معجم البلدان ١٤٤/١ ؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ).٣٦٧/١. تفاصيل إشكالية المؤلف وما دار حوله من مناقشات راجع عمرو عبد العزيز: مقدمة تحقيق كتاب فتوح البَهْنَسَا، (القاهرة ٢٠١٢م) ، ص ٢٧، ٢٨، ٢٩ ،٣٧.

٥٣ – ولم ترد تلك التسمية عند ياقوت الحموي في معجم البلدان (المتوفى: ٦٢٦هـ/875 م). ولا عند "محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبي المعروف بالوطواط" (المتوفى ٧١٨هـ /1318م)، ولا عند المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ/1441م). وإنما وردت عندهم جميعًا باسم " إِرْجَنُّوسُ " كما وردت في قوانين ابن مماتي، وفي تحفة الإرشاد، وفي التحفة من أعمال البهنساوية، وفي تاريخ سنة ١٢٣٦هـ /1820م "الأرجنوس"، ثم خُففت في النطق باسمها الحالي، الذي ورددت به من سنة ١٢٥٩هـ/1843 م... والشواهد عديدة حول عد نسبة السيرة لأي من المؤرخين السابقين وفي ظني وتقديري أنه مجهول ؛ فالرواية نفسها تتكون من طبقات أدبية تشبه تلك الطبقات الجيولوجية بسبب أن الرواة الذين تناقلوها شفاهًا كانوا باستمرار يعدلون ويزيدون أو يحذفون من الراوية الأصلية تلبية لحاجة جمهور المستمعين ، حتى تم تسجيل الرواية في أحد أشكالها على صفحات المخطوط الذي لم يلبث أن طبعت منه عدة نسخ تكشف كل منها عن صحة ما ذهبنا إليه .والشواهد عديدة فيما يتعلق بثبت الأماكن المستحدث اسمها. إضافة إلى أن المعلومات الأثرية المثبتة على شواهد أضرحة عدد من المدفونين في البَهْنَسَا والتي ورد ذكرهم في السيرة تؤكد هذا الرأي. مثال ذلك شاهد ضريح الشيخ

نسبة السيرة للمؤرخ الواقدي، بما فيها الجزء المتعلق بفتوح الصعيد والبهنسا، وفي ظنى وتقديري أنه مجهول؛ فالرواية نفسها تتكون من طبقات أدبية تشبه تلك الطبقات الجيولوجية، بسبب أن الرواة الذين تناقلوها شفاهًا كانوا باستمرار يعدلون ويزيدون أو يحذفون من الراوية الأصلية، تلبية لحاجة جمهور المستمعين، حتى تم تسجيل الرواية في أحد أشكالها، على صفحات النسخ المتعددة للمخطوط، الذي لم يلبث أن طبعت منه عدة نسخ؛ تكشف كل منها عن صحة ما ذهبنا إليه.

الأمر الذي يدعونا، دون حذر شديد، من التحقق بعدم نسبة الكتاب للواقدي (١٣٠هـ/٧٤٧م – ٢٠٧هـ/٨٢٢م)، إذ كان من الأحرى أن ترد أسماء الأماكن بمسمياتها التي كانت عليها في حياته، فضلا عن نقل راوي سيرة فتوح مصر – أيضًا – العديد من النقول عن الواقدي، وعن من لقبه بابن إسحق الأُموي مستهلا بقوله :" قال الوَاقِدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى" ، " قَالَ مُحَمَّدٌ بْنُ إِسْحَاقَ الأُمَوِيُّ رحمه الله "[٥٤].

أما عن **الخلفية التاريخية للملحمة:** والواضح من سرد أحداث السيرة: أن سيرة "**فُتُوحُ مِصْرَ المَحْرُوسَةِ** " **تتشابه تماما مع الإطار العام لسيرة "فتوح البَهْنَسَا الغراء"** ، كقصة تاريخية قصد بها إذكاء الروح الجهادية في سامعيها، وقد مزج الراوي بين حقائق التاريخ والخيال، ليصنع قصة تتقد بالحماسة والحث على الجهاد. ويرى "نوريس" أن فتوح البَهْنَسَا وسيرة عنترة بن شداد تعودان إلى العصور الوسطى[٥٥]، والأسلوب في كليهما يشي بذلك، وهو ما ينسحب بالضرورة على سيرة "فُتُوحُ مِصْرَ المَحْرُوسَةِ"[٥٦]، التي تدور قصتها بصفة أساسية حول فتح مصر والإسكندرية والثغور المصرية المهمة، كدمياط ورشيد ونتيس والإسكندرية، وكانت التيمة العامة

الصالح عبدالله التكرور الذي كانت وفاته في "السابع والعشرين من صفر سنة أربع وسبعين وستمائة انظر / محمد رمزي: القاموس الجغرافي ق٢، ج٣ (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤ م)، ص ٢١٣ ؛ أحمد عبد القوي: آثار وَفنون البَهْنَسَا،(سلسلة التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٥ م)، ص ٦٤.

٥٤ – سيرة فتوح مصر ، ق ٤ ، ق ١٢ ، ق١٩.

٥٥ – أشار ابن الحاج إلى رواج سيرة البطال ، وسيرة عنترة وغيرها من السير الشعبية في عصره (توفى ٧٣٧هـ) انظر/ ابن الحاج : المدخل ، ج٤ ، ص٨٠.

56 – Norris, H. T.: The futuh al – Bahnsa and its relaton to pseudo maghazi and futuh literature ,arabic siyar and Westera chanson de geste in the middle ages.

نوريس، هـ. ت: فتوح البَهْنَسَا وعلاقتها بالمغازي الزائفة وأدب الفتوح والسير العربية وأنشودة البطولة الغربية في العصور الوسطى. ؛ إبراهيم كامل احمد: "فتوح البَهْنَسَا الغراء" ، كتاب من كتب المغازي الإسلامية "مجلة الفنون الشعبية عدد ٤٦ يناير– مارس ١٩٩٥ م"، ص٧٥ ، ص ١٤٥.

واضحة؛ كان انتصار المسلمين في مصر تعبيرًا عن مشيئة الله، ومكافأته لهم لاعتناقهم الإسلام، وكانت هزيمة البيزنطيين كذلك جزءًا من الخطة الربانية، وعقابًا لهم على التوفيق بين وحدانية الله وإيمانهم بالثالثوت، وعلى حكمهم الظالم، وتتجلى هذه التيمة باستمرار في: غزارة التبادل بالرسائل أو الخطب بين العمال المسلمين والبيزنطيين(٥٧)، ثمة خيط آخر منسوج مع الراوية، وهو القوى العسكرية الإسلامية والمآثر البطولية، ويعكس بناء الشخصيات الحبكة ويعززها، حيث تجسد الشخصيات الرئيسية: عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وأبو عبيدة بن الجراح، والشخصيات الأخرى المساندة لهم في السيرة: الفضيلة الروحية والعسكرية بالتتابع، وتصل شجاعة المسلمين وقواتهم قدرًا خياليًا؛ إنهم قلة دائمًا، لكنهم يواسون أنفسهم دائمًا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، العرب لا يخونون ولا يكذبون، والعلاقات بينهم طيبة، ومفعمة بالإحساس بالعدل، وهم نماذج مطلقة للفضيلة، لكنهم قبل كل شئ أتقياء، ويلتزمون بصرامة بالآخرة والثقة في النصر أو الشهادة، بينما أعداؤهم المسيحيون على العكس تمامًا(٥٨). ونجد النبوءات عن قرب ظهور البطل المخلص لمصر؛ وحكايات تشرح وتفسر وتقيم جسرًا على الفجوة بين ما حدث بالفعل، وبين الروايات الجزئية للإخباريين والمؤرخين والوثائق (التي تشكل جزءًا من التاريخ ولكنها ليست التاريخ كله). وقد حملت هذه الرؤية القراءة الشعبية لأحداث الفتح الإسلامي لمصر(٥٩).

ويستهل الراوي سيرته ببداية المشاورات والمراسلات بين عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب حول ضرورة فتح مصر، ولكنه في الطريق يأبى إلا المرور بمحاولة التقرب من الذات، وذلك حين يعرض – الراوي– ما يجب وما لا يجب، حين يتعرض لحكاية عن حامل الرسالة، كيف حاله وكيف يوجهه

---

٥٧ – سيرة فتوح مصر ، ق ٧٨ ، ق ٧٩ ، ق٨٠ .

58 – Paret,Ruidi (1970), Die legendare Futuh – Literatur, ein arabisches Volkseposp La poesia epica e la sua formazione, Accademia Nazionale dei Lincei, Atti 139,pp.742-3.

وانظر/ روبرت ج.هولاند : التاريخ والقصة والتأليف في القرون الأولى من الإسلام (ضمن كتاب الكتابة وأشكال التعبير في إسلام القرون الوسطى آفاق المسلم ، تحرير : جوليا براي ، ترجمة : عبد المقصود عبد الكريم ، إصدارات المركز القومي للترجمة ، العدد ٢٦١٩، ط١، القاهرة ٢٠١٥م) ، ص ٦٨ ، ٦٩.

٥٩ – قارن السمات المماثلة في سيرة فتوح البهنسا الغراء ، وفتوح الشام . للمزيد/ عبد المنعم شميس : قصة البهنسا " مجلة الفنون الشعبية ، العدد الأول ، القاهرة) ، ص ٣٤– ٣٨ ؛ إبراهيم كامل احمد : "فتوح البَهْنَسَا الغراء" ، ص ١٣٧ – ١٤٥.

عمر بن الخطاب لضرورة الالتزام بالأخلاق الدينية قائلاً: "هَذِهِ الدِّيبَاجَةُ الحَرِيرُ الَّتِي عَلَيْكَ، لُبْسُهَا حَرَامٌ عَلَى الرِّجَالِ"(٦٠). إذ ينقل الأخلاقيات الدينية إلى مقام الثقافة، كرساله منه إلى الحاكم والمحكوم؛ تعطى بعداً عن مدى تصور الذات وارتباطها الوثيق بالأخلاقيات الدينية، وضرورة العودة للزهد وترك الترف الذي يعيشه مجتمع الراوي. بما يؤيد عمق السيرة الشعبية، وغناها الواضح بما يعبر عن حال المجتمع الذي يتلقاها فى لحظة تاريخية مأزومة.

ثم يستعرض بداية سير المعارك التي دارت وقائعها بين العرب والبيزنطيين في مصر السفلى، ويأتي على رسالة من عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، ولعل الحديث عن هذه الرسالة يذكرنا بما تناوله المؤرخون من أن عُمَرَ أخبر عمراً أنه مرسل إليه كتابًا، فإن أدركه قبل دخوله أرض مصر فليعد من حيث أتى، وإن أدركه بعد دخولها فليمض على بركة الله، وأن عمرًا قد أدركه هذا الكتاب وهو لا يزال في فلسطين، فلم يقرأ الكتاب إلا بعد أن تأكد من أنه في أرض مصر(٦١). وبدأ تصاعد أحداث السيرة بعد رسالة عمر إلى عَامِرِ بْنِ الجَرَّاحِ، حين يأذن فيه إلى عمرو بن العاص بالمسير إلى مصر، ثم نجد تتابع النجدات وانضمام العديد من القادة التاريخيين الذين تم استدعائهم من ذمة التاريخ إلى جيش عمرو: أبرزهم "خالد بن الوليد"، ومضت القصة تروى تحركات الجيش العربي، لنجد صورة مغايرة لخالد بن الوليد؛ جعلته كبطل موازٍ للبطل الرئيسي في السيرة وهو "عمرو بن العاص" الذي كان له أعداء لدودين، لعبوا دورًا في بناء السيرة وتطور المعارك الحربية، وجعلت لخالد بن الوليد دورًا لا يقل أهمية، من حيث جوهر فعله، ويتساوى مع الأمير عمرو، ويدعم وجوده على مدى السيرة، برغم أن الثابت تاريخيا وفاة خالد بن الوليد بالشام في غضون أقل من أربع سنوات من عزله، عام ٢١هـ/٦٤٢م، ودفن في حمص، حيث كان يعيش منذ عُزل. ولعل وجود خالد في سيرة فتوح مصر المحروسة وكذلك وجوده كبطل رئيس في سيرة فتوح البهنسا الغراء – صدى لحب الناس وتحدثهم بفعال وبطولات خالد في أرمينية، وانبهارهم بانتصاراته في الشام والعراق، حيث تغنّى الشعراء بفعاله، فوهبهم خالد من ماله وأغدق عليهم، ورسم في مخيلتهم النموذج الأعلى للبطل؛ إنها المخيلة الشعبية، التي لا تتغنى بهزائمها، ولكنها تشرئب بأبصارها إلى عصور البطولة العربية الإسلامية، تجترها سرديًا

٦٠ – سيرة فتوح مصر ، ق ٢.

٦١– ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ، ص٧٧.

وملحميًا، إنه الهروب إلى ماض ذهبي، من حاضر جارح، محبط، متشرذم، منهزم داخليًا وخارجيًا على السواء، ومن عدو تاريخي يتربص بها الدوائر، سواء أجاء من الشرق المجوسي أو التتري، أم جاء من الغرب البيزنطي أو الصليبي.[٦٢]

وفي ضوء ذلك: فإن الوجدان الشعبي يتسم بالصدامية مع أي رقابة تاريخية أو أخلاقية أو أدبية؛ قد تعوق تجسيده بالشكل الأمثل الذي يرنو إليه الوعي الشعبي. **ولذلك فإن الراوي يأتي بشخصياته وأحداثه من ثنايا التاريخ ، ويبقى الفرق بين القصص الشعبي والتاريخ واضحًا "فالأول ينشد ما يجب أن يكون ، والثاني يفتش عما كان"**[٦٣]، **فيختار الراوي من التاريخ من يحقق له. حلمه / حلم جمهوره.** ويروي بشكل أدبي تطلعاته وأمانيه، مستعينًا بالمادة التاريخية، ومحملا إياها هموم الشعب وآماله[٦٤]، ويصبح في حالة تصادم دائم مع أي حدث تاريخي لا يخدم الفكرة الرئيسية المنشودة. ووسيلته في ذلك خياله، وإيمانه المطلق بعدالة حلمه[٦٥]. وعلى الرغم من أن السيرة الشعبية "فُتُوحُ مِصْرَ المَحْرُوسَةِ" تحقق النصر العسكري الساحق لأبطالها على البيزنطيين، فإن هذا الانتصار/الحلم يبقى مزيجًا من الواقع التاريخي والخيال القصصي، على نحو ما يعالجه أو يراه المتخيل السردي – تعبيرًا عن أحلام الضمير الجمعي وآماله[٦٦].

٦٢- محمد رجب النجار : الأدب الملحمي في التراث الشعبي (سلسلة الدراسات الشعبية ، العدد ١١٠ ، هيئة قصور الثقافة ، القاهرة ٢٠٠٧م) ، ص ٩٥.

٦٣ – عبد الحميد يونس : الظاهر بيبرس في القصص الشعبي (دار القلم ، القاهرة د.ت) ، ص ٥ ؛ طلال حرب بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك ، (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت ١٩٩٩م) ، ص ١١.

٦٤ – أحمد محمد عطية : مدخل لدراسة شخصية البطل الثوري في الرواية العربية ، (مجلة الأقلام ، العدد ٩ ١٩٧٥م) ، ص ١٥ ؛ طلال حرب : بنية السيرة الشعبية ، ص ١١ .

٦٥ – يوسف إسماعيل: الرؤيا الشعبية في الخطاب الملحمي عند العرب (منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٢٠٠٤م)، ص ١٢٦؛ عالي سرحان القرشي: العلاقة بين الراوية والتاريخ (استنطاق ، اختراق ، تكوين)، (ضمن أبحاث ملتقى القاهرة الثالث للإبداع الروائي العربي ، الجزء الثاني ، الراوية والتاريخ ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠٠٥م)، ص ١١-٢٢.

٦٦ – عبد المجيد عابدين: لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية ، (مطبعة الشبكشي ، القاهرة ١٩٦٤م) ، ص١٢٢، ١٢٣. بتصرف.

قدمت السيرة بعض **الأنواع المختلفة للأسلحة المستخدمة في القتال** وطرق تعبئة الجيوش، أما أسلحتهم فكانت في معظمها: أسلحة القتال المتلاحم من سيوف ودرق وأعمدة ورماح وكرابيج، إلى جانب القسى والنشاب للرمي عن بعد، ودبابيس[٦٧]. وكلها أمور تتفق مع أسلحة تشكيلات المشاة في الجيش البيزنطي والمكون من فرق تستخدم كعوبا غليظة ومزاريق طويلة وحرابا، مهمتهم مواجهة هجمات الفرسان الثقيلة حيث كان في كل وحدة مشاة مكونة من ألف رجل، ومِئة جندي مجهزين جيدا. إلى جانب أربعمئة من حملة الحراب وثلاثمئة من حملة السهام ومئتين من المشاة الخفيفة مسلحون بالمقاليع والمزاريق الصغيرة[٦٨] .

كما يوضح **النشاط الاستخباراتي الحربي**، الذي قام به جيش العرب ضد البيزنطيين، وما قام به الجيش البيزنطي ضد العرب، وآلية تعامل كل منهما مع الآخر، ويعرض لطرق الأكمنة التي اعتاد البيزنطيون نصبها للعرب "..إِذَا وَصَلْتَ إِلَى السَّاحِلِ لا تَنْزِلِ البَرَّ حَتَّى تبْعَثْ جَوَاسِيسَك يَاخْذُوا لَكَ[٦٩] أَخْبَارَ حَالِ العَرَب، فَحَيْثُ أَخْبَرُوكَ بِهَا نَازِلَة فَاتْرُكْهُمْ إِلَى اللَّيْل..."[٧٠]، "فَلَمَّا سَمِعَتْ أَرْمَانُوسَّةُ ذَلِكَ مِنْ جَوَاسِيسِهَا دَخَلَ الرُّعْبُ فِي قَلْبِهَا"[٧١]، ناهيك عن الأبواب السرية[٧٢] والطرق المجهولة للعديد من حصون البيزنطيين، والتي كانت تستخدم في الأوقات الطارئة[٧٣]. بل إن الجواسيس يستطيعون

---

٦٧ – الدَّبُوسُ : وَاحِدُ الدَّبَابيس ، للمَقَامِعِ من حَدِيدٍ وَغَيره ، وَقد جاءَ فِى قَوْلِ لَقِيطِ بنِ زُرَارَةَ : لَوْ سَمِعُوا وَقْعَ الدَّبابِيسِ وَكأَنَّهُ مُعَرَّب دَبُّوز . تاج العروس ٤٩/١٦ . ، وَالدبوس : عصا من الخشب أو الحديد فِى رأسها شئ كالكرة ، وَهى فِى العادة للفرسان يحملونها فِى سروجهم ، وَيتقاتلون بها عند الاقتراب ، وَهى كلمة فارسية : دبوس Topouz وَهى دَبَسة بالعامية . انظر / محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية فِى العصر المملوكي (دار الفكر ، دمشق ١٩٩٠م) ، ص٧٣؛ كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ، ص ٦٠؛ عبد الرءوف عون : الفن الحربي فِى صدر الإسلام ، ص ١٥٤.

٦٨ – جون هالدون : بيزنطة في حرب ٦٠٠ – ١٤٥٣م (ترجمة وتعليق : فتحي عبد العزيز محمد ، دار ناشري ، الكويت ٢٠١١م) ، ص ٤٧.

٦٩– يريد «حتى ترسل جواسيسك يأخذون لك»، وواضح أنه أصاغها باللهجة الدارجة.

٧٠ – سيرة فتوح مصر ، ق٦٩.

٧١ – سيرة فتوح مصر ، ق ١٦ .

٧٢ – سيرة فتوح مصر ، ق ٥٦ ، ق ٦٢.

٧٣ – عبد الرءوف عون : الفن الحربي فِى صدر الإسلام ، ص ١٤٥.

نقل الخطط السرية ومحاورات قادة الروم مع كبار رجال دولتهم، ويجيد هؤلاء الجواسيس اللغة القبطية واليونانية إجادة تامة: "كَانُوا يَحْفَظُون أَكْثَرَ اللُّغَاتِ لِيَسْتَعْمِلُوهَا فِي وَقْتِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا"(٧٤). كما وردت إشارات عن الدور الدبلوماسي والثقافي الذي قام به التراجمة، في مجتمع السيرة، وتزايد الحاجة إليهم، وهو ما نجد له صدى في الواقع التاريخي للمجتمع في العصر المملوكي(٧٥)، إضافة إلى إشارات تفيد عن مستوى التعليم والاهتمام باللغات؛ الذي كان يتلقاه الأمراء والملوك والسلاطين في الواقع التاريخي، ومعرفتهم لأكثر من لغة(٧٦).

كما عكست سيرة "فُتُوحُ مِصْرَ المَحْرُوسَةِ "**علاقة بلاد النوبة مع مصر** المتمثلة في: رابطة الجوار ورابطة الكنيسة، وخاصة بعد إخفاق محاولة عمرو بن العاص، سنة ٦٤٢م، فتح النوبة على يد عقبة بن نافع، ثم محاولة عبد الله بن أبي السرح، وتوالي غارات أهل النوبة على مصر، في عصر الإخشيديين والفاطميين، إلى أن أتت الحروب الصليبية لتزيد من مظاهر العداء بين مصر ومملكة النوبة المسيحية: مهاجمة أسوان سنة ١٢٧٢م وأسرهم العديد من أهل أسوان وعيذاب، وتصدي الظاهر بيبرس لهم(٧٧)" فعند ذَلِكَ وَثب مكسوج ملك البجاه(٧٨)، وَعليق ملك النوبة، وَجمعا ما حولهما من العساكر، وَالجنود من أرض النوبة، وَالبجاه، وَالبربر، وأتوا إِلَى أسوان"(٧٩). وتكاد تتشابه الصورة النمطية للبجاه في سيرتي "فتوح مصر المحروسة" مع "سيرة فتوح البهنسا الغراء بقول الراوي: "وَطمطمت السودان، وَكفروا بالرحمن، وَثار العجاج، وَهمهمت وزمجر هؤلاء الأعلاج السود، وَحميت الحروب، وَعظمت البلايا وَالكروب، وَكادت الأجساد تذوب، وَسالت سواقي الدماء كالأنبوب، وَرويت بدمائهم الأرض، وَماجت أهلها بالطول وَالعرض، وَامتلأت ما بَيْنَ صريع وَطريح، وَقتيل جريح، حام الحمامُ على الكفرة اللئام"(٨٠).

---

٧٤ – السيرة ، ق ١١٠.

٧٥ – للمزيد / على السيد على : التراجمة في عصر سلاطين المماليك (ضمن كتاب بحوث في التاريخ الاجتماعي من العصر المملوكي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠١٤م) ، ص ٢٠٥ – ٢٣٢.

٧٦ – سيرة فتوح مصر ، ق ١٥ ، ق ١٦.

٧٧ – انظر / سعيد عبد الفتاح عاشور : الظاهر بيبرس (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠١م) ، ص١٢٤.

٧٨ – البَجَاوَةُ: بفتح الواو، قال الزمخشري: بجاوة أرض بالنّوبة، بها إبل فرهة وإليها تنسب الإبل البجاويّة منسوبة إِلَى البجاء، وهم أمم عظيمة بَيْنَ العرب والحبش والنوبة ، والبجاء: قوم سود أشد سوادا من الحبشة . ياقوت: معجم البلدان ٣٨٨/٤.

٧٩ – انظر / سيرة فتوح مصر المحروسة ق ٤١.

٨٠– فتوح البهنسا ، ص ٢٠١.

ويصف **ملامحهم الجسدية** بقوله :" وكَانَ فِى أصحَاب الأفيال ألفين من السودان وَالبربر من أعلى بر سواكن الأقصى، سودان يعرفون بالقواد، شفة أحدهم العليا مشقوقة وَفيها خزام من نحاس، فإذاَ كَانَ وَقت الحرب لا يخرجون تِلْكَ القواد إِلَّا إذاَ حمى الحرب وَاشتد الأمر وَكثر القتل...وكَانُوا سودًا طوالاً، كل وَاحد مِنْهُمْ طُوله عَشْرَة أذرع، فإذاَ أرادوا الحرب يجعل كل وَاحد مِنْهُمْ سلسلة فِى ذَلِكَ الخزام وَهي طويلة مشقوقة نصفين، فيمسك كل وَاحد مِنْهُمْ بطرفها وَالآخر بالطرف الثاني فإذاَ زحفوا قدموا تِلْكَ القواد عِنْدَ شدة الحرب، فيكبر ذَلِكَ وَيعظم عِنْدَ النَّاس.. .طوالا فيضربون الفارس وَالفرس معا فيقتلونهما ، وَمنهم من يركب الأفيال وَيقاتل عليها".[٨١]

لتكشف السيرة عن **تفاصيل جسدية للسودان،** إنهم عمالقة إلى درجة أن الآخرين من البشر يبدون أمامهم صغارًا، فيبدو لنا الخيال مثيرًا للدهشة من جانب، وموظفًا من جانب آخر، كي يقنعنا بأن فكرة أن قيام العملاق الأسود بقتل كلاًّ من الفارس والفرس معًا مبررًا .كما نعايش الرعب الجمعي من السودان البجاة الساكنين أعلى بر سواكن الأقصى، ذوي الشفاة المشقوقة، كأن الراوي يريد أن يكسب تعاطف المتلقي، فيندفع مع أبطاله في كيل السباب لهم، ويلحق بهم كل صفات اللعن والكفر، ليتحول أسود اللون إلى أسود الفعال. واختار الراوي صفات جسدية تنسجم مع هذه الفعال، وعمد إلى الخيال الذي يشوه ملامح وجهه، فيجتمع سواد البشرة مع البشاعة الشكلية والخلقية، والمبالغة في رسم شفتيه وَفيها خزام من نحاس، إلى درجة تثير العجب، حتى قوة العبيد السود التي قد تحمل دلالة إيجابية، لحق بها تشبيه منفر لا يتفق وروح الأخوة بين البشر التي دعا إليها الدين الإسلامي: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"[٨٢] ويبدو لنا المجتمع الإسلامي في السيرة قد خضع لنسقه الثقافي العام أكثر من نسقه الديني، فقد كان أسيرًا لما احتفظت به الذاكرة الجماعية من حروب وعلاقات صراعية مع الأسود الحبشي قبل الإسلام (أبرهه الحبشي)، ثم العلاقات غير الودية بين مصر وبلاد النوبة والحبشة في العصور الوسطى، لهذا تم النظر للأسود بوصفه ذلك الآخر المفرط في مغايرته للذات العربية: لونًا وعرقًا وهيئة وثقافة ودينًا ولغة (في وصفه لكلامهم بطمطمة السودان)، وأمعنت المخيلة في تجسيد بطشهم وبمثل هذا التعبير بدا لنا جزؤ من عملية تمثيل الذات، واستعراضها أمام نفسها

٨١- فتوح البهنسا، ص ٢١٤ ؛ سيرة فتوح مصر المحروسة ، ق ٤٣.

٨٢- سورة الحجرات ، الآية ١٣.

وأمام الآخر وأمام العالم٨٣ ، وحديث السيرة عن أعداد العبيد السود: "كانَ قَبْلَ دُخُولِهِ فِي الإِسْلامِ يَرْكَبْ لِرُكُوبِهِ اثْنَي عَشَرَ أَلْفَ مَمْلُوكٍ مِنَ السُّودَانِ شِرَاء مَالِه"(٨٤)، يعكس حقيقة الواقع في مجتمع العصر المملوكي، وما تميز به من كثرة اقتناء السلاطين والأمراء والعامة للعبيد السود، كل حسب سعته ومكانته الاجتماعية ومركزه المالي(٨٥).

وعلى جانب آخر: أوضحت السيرة **شعارات وشارات الجيش الإسلامي**(٨٦) وطرق التواصل بين الجنود في المعارك. والمعروف أن الجيش الإسلامي كان يبنى على أساس قبلي، وكان لهذه القبائل شعار تتميز به، ويتعارف به أفرادها، وصيحات خاصة يتنادون بها ويتعارفون فِى الظلام، وعند الاختلاط، بحيث تكون عندهم معروفة، وعند غيرهم مجهولة بالإضافة إلى شعارهم العام وهو التكبير(٨٧)، الذى كان شعار كل مسلم(٨٨)، والذي يتفق مع الحقائق التاريخية المتعلقة بشارات المسلمين في معاركهم الحربية .

وبأسلوب الملاحم العربية: يصف حمية القتال، وشجاعة الفرسان، من الجانبين العربي والبيزنطي. وعلى الرغم من أن المؤرخين المسلمين يعترفون بشجاعة المقاتل "البيزنطي"، فإن راوي السيرة ينزع هذه الصفة عن جنود أعدائه، ويمعن في انتقامه منهم، ولا يعترف لهم بهذه الشجاعة إلا نادرًا، ويلحق هذه الصفات بأي قائد يمتاز بصعوبة التغلب عليه، في محاولة لإظهار شجاعة المحارب المسلم الذي تصدي لمواجهة المحاربين الأقوياء في صفوف العدو.

٨٣- نادر كاظم : تمثيلات الآخر ، صورة الأسود في المتخيل العربي الوسيط ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، بيروت ٢٠٠٤م) ، ص ٤٧ ؛ ماجدة حمود : صورة الآخر في التراث العربي ، (الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ٢٠١٠ م) ، ص ٢٤١.

٨٤ – سيرة فتوح مصر ، ق ٤٦ ، ق ٦٧.

٨٥ – على السيد على : الرعاية الاجتماعية للجواري والعبيد السود في العصر المملوكي (ضمن كتاب بحوث في التاريخ الاجتماعي من العصر المملوكي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠١٤م) ، ص٢٣٣- ٢٣٤.

٨٦ – انظر سيرة البهنسا ص٣٢٣ ؛ سيرة فتوح مصر ، ق ٥٠ .

٨٧ – سيرة فتوح المحروسة ، ق ٥٢ ؛ ق ٥٦ ، ٥٧ .

٨٨ – الشعار قسمان : شعار فعلي وهو الشارات للفرد والجماعة ، وشعار قولى وهو ألفاظ خاصة كانوا يتصايحون بها عند القتال ، ويتعارفون بها فِى المعارك ، وتقوم مقام (كلمة السر) فِى الجيوش الحديثة التي يعرف الجندى أخاه . انظر/ عبد الرؤوف عون : الفن الحربي ، ص ٢٥٤، ٢٥٥

وحين نتأمل صورة المرأة في هذه السيرة الشعبية: نجدها صورة متوازنة لها صوت الذكوري تمامًا، ودور لافت للنظر تقوم به المرأة من ناحية الكم والكيف معًا[٨٩]؛ فمن ناحية الكم تزدحم السير الشعبية العربية بنماذج من البطولات النسائية، ومن ناحية الكيف: فإن هذه النماذج تتأرجح درجة بطولاتها بين أدنى درجات البطولة حتى أعلاها، وعندها تتساوى مع النماذج البطولية للرجال[٩٠]. وهو نموذج للمرأة المسلمة البطل التي تتقن فن القتال وتمارسه من أجل المصلحة التي تحددها الجماعة، ومثل هذا النموذج كثيرًا ما يرد في وصف المسلمين عبر تاريخ الإسلام. ونجد دورها البطولي دوما إلى جانب المقاتلين من العرب: "وقاتلت النساء بالأعمدة والسيوف، فلله در "غفيرة بنت غفار الحميرية"، و"سلمى بنت زاهر" ونظائرهما من النساء، لقد قاتلن قتالاً شديدًا حتى سال الدم على وجوههن، يقلن الله يا بنات العرب قاتلوا عن أنفسكم وإلا صرتم ملكًا للسودان والأعلاج فقاتلن قتال الموت"٩١.

أما عن صورة **المرأة البيزنطية**، فإلى جانب تلك الصورة السابقة التي تتجاوز الإطار المألوف؛ تحشر المرأة، ما دامت تعبر عن الآخر، في صورة نمطية تبرز التشوه الذي كبل حياتها، وحاصرها بنظرة دونية، في استجابة من الراوي هنا للنسق الثقافي العربي، فيضع الملكة أرمانوسة[٩٢] في مرتبة الخيانة والمكر والاحتيال في أبشع صورها، حين تحاول الإيقاع بيوقنا الذي أسلم وبقادة العرب، والدفاع عن بلدها، ويرسم لها الراوي صورة سلبية متأثرًا بالمعتقد الديني، وفي الوقت نفسه يعترف بجمال الجواري الحسان[٩٣]، ومنهن من يضربن على جميع الآلات والغناء[٩٤] وما تتحلى به من زينة، وما تمتلكه من جواري وأموال.

لكن ومن جهة أخرى: نلمس تعاطفًا إنسانيًا مع **الآخر المسيحي المسالم**، حتى

---

٨٩ – ماجدة حمود : صورة الآخر ، ص ٢٤٦.

٩٠ – نبيلة إبراهيم : من نماذج البطولة الشعبية ف الوعي الشعبي ، (سلسلة معارف إنسانية ، العدد ٥ ، ط١ ، دبي١٩٩٣م) ، ص ١٥٤ .

٩١ – سيرة فتوح البهنسا ، ص ٣٨٨؛ سيرة فتوح مصر ق ٧٠ ، وما بعدها .

٩٢– سيرة فتوح مصر المحروسة ، ق ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣.

93– El-Cheikh, N. M. 'Describing the other to get at the self: Byzantine women in the Arabic sources (8th.-11th. Centuries)', JESHO 40,2 (1997) 240-250.

٩٤ – نجد لهن نظير في سيرة الأميرة ذات الهمة انظر على سبيل المثال قصة الأميرة البيزنطية "أفتونا" التي تجيد الغناء بالعربية، وتستطيع في الوقت نفسه أن تبارز الفرسان. السيرة، ج ١، ص ٢٩٧-٣١٧. نقلا عن الأمين أبو سعدة : الملاحم ، هامش ٦٨.

لو كان ينتمي إلى الأعداء، لا تمنعه من تقديم صورة إيجابية لهم :"رَاهِبٌ مِنْهُم كَبِيرٌ خَبِيرٌ بِالأُمُور، صَاحِبُ عِلْمٍ وَعَقْل"[٩٥]، ":الرَّاهِبِ «مَنَاخ»، وَكَانَ تِلْمِيذًا لِبَحِيرَةَ الرَّاهِب، وَكَانَ مُؤمِنًا بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ وِبِأَنْبِيَائِه"[٩٦]. مثل هذه الصورة الإيجابية للراهب وجدناها في كتب التراث الإسلامي، فكان مثال رجل الدين الذي يقترن الإيمان لديه بالسلوك الإنساني، وهذا ما لمسناه لدى أبي حيان التوحيدي الذي جسد لنا، عبر كتبه، لحظات مشرقة في الحضارة الإسلامية[٩٧]. إذ يمكننا القول مع تييري هنتش: بأن التعايش بين الإسلام والمسيحية يشكل جزءًا من الإرث في الفكر الإسلامي[٩٨]، **ويصف أيضاً أساليب المعاملة الكريمة من العرب للأسرى** برغم رغبة بعض الجنود الفتك بهم، إلا أن القادة نهروهم عن هذا الإثم، في أكثر من موضع من مواضع السيرة، "نَحْنُ رُهْبَان، وَنَبِيُّكُمْ نَهَى عَنْ قَتْلِ الرُّهْبَان"[٩٩]. إضافة إلى تنوع وكثرة الأسرى في مجتمع السيرة :"وَالأَسْرَى قَرِيبٌ مِنَ الأَلْفَيْن"[١٠٠] وإسلام بعضهم وبقاء البعض على دينه: "وَعَرَضَ الإِسْلامَ عَلَى بَقِيَّةِ الأَسْرَى؛ فَمِنْهُمْ مَنْ أَسْلَمَ وَمِنْهُمْ مَنْ بَقِيَ عَلَى دِينِه؛ فَأَقَرَّهُمْ عَلَى أَدَاءِ الجِزْيَةِ مِنْ عَامِهِمُ المُقْبِل"[١٠١]، يجد ما يماثله في المصادر التاريخية التي تحدثت عن الفترات السابقة لحكم المماليك، وعن وجود سجن للأسرى من الفرنج ، والذين ذابوا وسط المجتمع المصري، نتيجة لإسلام الكثير منهم[١٠٢]. ويستمر في وصف التلاقي بين الجانبين وظهور

٩٥- فتوح مصر المحروسة ، ق ٩٥.

٩٦- فتوح مصر المحروسة ، ق١٤٢.

٩٧- انظر/ البصائر والذخائر ، المجلد الثالث ، لأبي حيان التوحيدي ، (تحقيق : إبراهيم كيلاني ، دار أطلس ، دمشق د.ت) ؛ ماجدة حمود : صورة الآخر ، ص ٢٢٤.

98 -ThirryHentsch 'L'orientimaginaire: La vision politiqueoccidentale de l'estmediterraneen", arguments les editions de minuit, paris, 1988,pp.103-104.

٩٩- سيرة فتوح مصر المحروسة ، ق ٧٧ ؛ قارن الرواية منقولة بتصرف عن فتوح الشام المنسوب للواقدي٢/٧١.

١٠٠ - سيرة فتوح مصر ، ق٤٧ .

١٠١ - سيرة فتوح مصر ، ق ١٠٦ ، ق ١٠٧.

١٠٢ - على السيد على : دور الأسرى الأجانب في المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك (ضمن كتاب بحوث في التاريخ الاجتماعي من العصر المملوكي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠١٤م) ، ص٧٠ وما بعدها .

الأبطال. ويوضح أخلاقيات الجيش الإسلامي في الحرب والالتزام بعدم التعرض للكنائس والأديرة والنساء والأطفال والشيوخ والرهبان، لكن ميزة هذه السيرة: أنها بدت مخلصة للواقع المُعاش في بعض وجوهها، إذ لا نجد البيزنطيين وحدهم يقعون في الأسر، بل وجدنا المسلمين يقعون أيضًا: "وَأَسَرُوا ضِرَارَ بْنَ الأَزْوَرِ وَأُخْتَهُ خَوَلَة"[١٠٣].

وتحمل السيرة **أصداء التأثيرات التي تركتها المواجهة العسكرية والحضارية البيزنطية/الإسلامية**[١٠٤] **على المجتمع العربي**، فنجد في السيرة **صدى لقراءة "ثأرية للتاريخ"** تسترجع معها مشاهد الصراع الإسلامي البيزنطي، وتستحضر فيها المواقف الحاسمة، والهزائم التي ألحقتها الجيوش الإسلامية بقوات الإمبراطورية "البيزنطية/المسيحية"، تحت قيادة الإمبراطور هرقل، كمعركة اليرموك (٦٣٦م/١٣هـ)، وانتصارات المسلمين في خضم الفتوح، استحضاراً للحظة حضارية تحطم المسافة الوهمية بين العقل والمشاعر ووهن الواقع. لنقرأ ما يمكن أن نسميه بالتاريخ الوجداني لهذه الفترة.

ركزت السيرة أولا، في أكثر من مشهد، على **الجدل الديني بين المسلمين والبيزنطيين/ الروم**[١٠٥]، ونلمح على امتداد السيرة الكثير من عناصر هذا **الجدل والمناظرات الدينية التقليدية**، فألوهية المسيح، ونسب الأبوة لله، مع إنكارها للبطلوس أو البطريق،؟ تكاد تتشابه مع مناظرات أبي بكر بن الطيب المعروف بـ (الباقلاني ت١٠١٣م/٤٠٣هـ)، مع رجال الدين البيزنطيين[١٠٦]. ويُلم الراوي ببعض عناصر وفرعيات الجدل الإسلامي البيزنطي، فمعظم النقاط المحورية في الكتابات الإسلامية الجدلية، ضد بيزنطة، تظهر بشكل متفرق في أجزاء كثيرة من السيرة، وتكاد تكون أهم

١٠٣- فتوح مصر ، ق ٦١.

١٠٤ – هذا الصراع استمر من ٦٢٨م/٨هـ حتى فتح القسطنطينية في ١٤٥٣م/٨٥٧هـ

١٠٥ – "الروم" تسمية أطلقها الوعي الشعبي في المنطقة العربية على البيزنطيين أولا ثم انسحبت في الآداب الشعبية على الصليبيين وظهر صداها قويًا في حكايات ألف ليلة وليلة التي أطلقت مسمى "الروم"على الصليبيين – وإن كانوا يعرفوا بالفرنج أيضًا – ولم تستطع العديد من الكتابات أن تربط بينها ظنًا منهم أن الحكايات تتناول"الروم" أما سيرة "فتوح مصر المحروسة" فقد تناولت المصطلح على الآخر المسيحي دون فرق كبير بين البيزنطي و الكاثوليكي الغربي.

١٠٦ – محمد الخضيري: المناظرة العجيبة، وقائع مناظرة الإمام الباقلاني للنصارى بحضرة ملكهم (دار الوطن للنشر، الرياض ٢٠٠٠م).

هذه النقاط في السيرة – وفي الجدل الإسلامي البيزنطي أيضًا – هي: مشكلة تأليه المسيح، فالراوي يعرض بشكل متكرر لوجهة النظر الإسلامية في تأليه ومكانة المسيح[١٠٧] المسيح[١٠٧] ويحسب لراوي السيرة أيضًا: إلمامه ببعض تفصيلات الحياة الدينية داخل المسيحية، والاختلافات المذهبية المسيحية حول تأليه المسيح :" وَهَذَا اللَّعِينُ عَلَى غَيْرِ مَذْهَبِنَا، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ يُكَفِّرُنَا لأَنَّهُ نَسْطُورِيٌّ(١٠٨) وَنَحْنُ يَعَاقِبَة(١٠٩)"(١١٠).

أما ميدان القتال؛ فإن **الهوية الدينية** والحرص الشديد على التمييز بين المسلمين والمسيحيين، يبدو جليًا في كل وصف تقريبًا للمعارك الحربية، فالتهليل والتكبير والأعلام والرايات المحمدية هي: علامات الجيش الإسلامي، إضافة إلى الصلبان الذهبية والدروع والدروق، وما تطلق عليه السيرة "طمطمة الروم"، فتصاحب الجيوش البيزنطية بضخامتها، وتعدد العناصر المشاركة فيها والمساعدة لها(١١١).

ولا تخلو معركة في السيرة من **رجال الدين**، من البطارقة والقساوسة والرهبان، يباركون الجيوش قبل القتال، ويصلون للفرسان قبل المبارزة، وفي كل المعارك يظهر البطريق كواحد من الحاشية، أو كمتحدث رسمي، كما أنه كان سفيرًا إلى المسلمين في معظم الحالات قبيل المعركة. وتعطي السيرة دورًا **مهما وبارزًا، للكنيسة** ورجالها، في تأجيج نار العداء للمسلمين، وحث البيزنطيين (أو الروم بحسب توصيف راوي السيرة) على المثابرة في القتال ضد المسلمين.

وتحظى الطقوس والعادات المسيحية عامة باهتمام خاص من مؤلف السيرة، وهو يصف عاداتهم في الملبس والمأكل والصلاة والصيام والزواج والتطهر والمواريث والمجالس

---

١٠٧ – الأمين أبو سعدة: بيزنطة في الملاحم ، ص ١٠٧.

١٠٨– النسطورية Nestorianism: مذهب مسيحي يصنف بالنسبة للمذاهب المسيحية الكاثوليكية والأرثوذكسية ومعظم الكنائس البروتستانتية ضمن الهرطقات والبدع.للمزيد عن ديانات ومذاهب أهل الذمة في مصر الإسلامية ، راجع . سيدة إسماعيل كاشف : مصر الإسلامية وأهل الذمة ، (سلسلة تاريخ المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٣م) ، ٥١– ٦١.

١٠٩– مصطلح «اليعاقبة» نسبة إلى القديس يعقوب البرادعي بطريرك انطاكية .

١١٠ – سيرة فتوح مصر ، ق ٤٩.

١١١ – سيرة فتوح مصر ، ق١ ، ق ٤٤ ، ق ٥٢ ، ق ١٠٤ ، ق ١٠٥ وما بعدهما .

الخاصة لهم[١١٢] إلى النظام الكنسي لديهم، وطبقات رجال الدين الكنسي وتسلسلهم الوظيفي[١١٣] إضافة إلى الصورة التقليدية للنقد الإسلامي ضد القسيسين والرهبان بشكل خاص، ويجمع الراوي عناصر مشتتة من الكتابات الدينية الجدلية العربية، أو لعلها كانت متداولة شفويًا بين المسلمين آنذاك، والتي لا تزال بعض آثارها موجودة إلى يومنا هذا.!

كما أن **قضية التطهر للصلاة والغُسل من الجنابة، وطقوس القداس الكنسي** وما يصاحبه من تناول، كانت من المحاور التي أشار إليها الراوي وأفرغ لها ملاحظات ساخرة حول الرهبان والقسيسيين: "وَكَانَ مُذْ نَشَأَ مَا أَكَلَ لَحْمَ خِنْزِيرٍ وَلا شَرِبَ خَمْرًا وَلا سَجَدَ لِصُورَةٍ وَلا قَبَّلَ صَلِيبًا وَلا ارْتَكَبَ حَرَامًا"[١١٤]. وفي سيرة البهنسا:" "وَأنا أعْلَم أن القسيسين وَالرهبان لا قلوب لهم، لأنهم ليس لهم إلَّا أكل العدس وَالزيت وَالأشياء الرديئة، وَلا يعرفون اللحم، فلأجل ذَلِكَ ضعفت قلوبهم فجبنوا عن الحرب وَالقتال[١١٥]" .

كما ينقل الراوي معلومات تُشير إلى وصول بعض **تفاصيل الحياة والطقوس اليومية للكنائس** المسيحية؛ التي كانت مقر اجتماع القادة مع الجيش والمحاربين، وقدم وصفًا لها وانسحب ذلك على باقي تفاصيل الحياة الكنسية، بشكل عام، من الداخل، وتفاصيل عماراتها ومحتوياتها وذخائرها وطرق حياتهم داخل الكنائس، ويتضح ذلك في سياق وصفه لكنائس مصر القديمة، وخاصة الكنيسة المعلقة[١١٦].

أما عن **صورة الرهبنة والديرية في السيرة:** لعل أجمل صورة رسمتها السيرة للآخر هي: صورة الراهب المسيحي: "الَّذِي أَشَارَ عَلَى الرُّهْبَانِ بِالقَبْضِ عَلَى القِسِّ بُولِيسَ"[١١٧]. ويبدى إعجابه بشجاعة خالد بن الوليد، ويتم بفضله حقن دماء المسيحيين والمسلمين، وتزداد الصورة

١١٢ – سيرة فتوح مصر ، ق ٧٥ ، ٧٦ ؛ سيرة فتوح البهنسا ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧.

١١٣ – سيرة البهنسا ، ص ١٥٥.

١١٤ – سيرة فتوح مصر ، ق ٩٣ .

١١٥ – سيرة البهنسا ، ص ٣١٤.

١١٦– السيرة ، ق ١٧٨.

١١٧– فتوح مصر ، ق ٩٧ .

المشرقة وضوحًا حين نرى الرهبان يخرجون للمسلمين: "مِنْ دَيْرِهِمُ الطَّعَامَ وَالعَلُوفَةَ" ويأكلون ويعلفون خيولهم وينامون في الدير طوال الليل[١١٨]، وهو ما نجده في الواقع التاريخي من مجيئ رهبان وادي النطرون إلى عمرو بن العاص، يظهرون له الطاعة، وأعطى عهد أمان لهم ولبنيامين فعاد من مخبئه، ودخل الإسكندرية، ووصفه عمرو بن العاص بقوله: "إنني لم أر يومًا في بلد من البلاد التي فتحها الله علينا رجلا مثل هذا بين رجال الدين"[١١٩]. و**العين لا تخطئ النظرة الإسلامية المزدوجة (للآخر) الرهبنة والرهبان**، والتي تتراوح ما بين التقدير والاحترام لمن تفرغوا للعبادة وانفردوا بأنفسهم بعيدًا عن العالم، حتى لو كان ذلك تديناً في الاتجاه الخاطئ، من وجهة النظر الإسلامية.[١٢٠] ونلاحظ رغبة **الراوي المسلم في ممارسة دور الداعية الديني**، مما يؤثر على صورة موضوعية للآخر، لهذا عمد إلى عرض الإسلام على الرهبان واستعراضه لمعجزات النبي الأكرم، ليكتمل إيمانهم، وفي الوقت نفسه هناك العديد من الأمثلة من الرهبان الذين أسلموا، أو كانوا مسلمين في الأصل ولكنهم كتموا إسلامهم، وعاشوا متخفين ضمن المجتمع الديرى البيزنطي، حتى لا ينكشف سرهم عند مساعدتهم لأبطال السيرة في المواقف المختلفة.[١٢١] والبعض الآخر من رهبان مناطق الحدود: نلمس حرصهم الشديد على عدم التورط في

١١٨- المصدر السابق ، ص ٩٧ ، ٩٨ .

١١٩ – ألفريد ج. بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٤٥٧ .

١٢٠- عن نظرة الإسلام للرهبنة في الملاحم انظر: الأمين أبو سعدة : بيزنطة في الملاحم ، ص ١١١ ؛ وعن نظرة الإسلام للرهبنة انظر:

Sviri, S., 'Wa-rahbābāniyatanibtada'ūhā: an analysis of traditions concerning the origin and evaluation of the Christian monasticism', JSAI 13 (1990) pp. 195-208.

١٢١- السيرة: ص ١٩٠ ، ٢٠٠ ، ٢١٠.

الصـــراع العســـكري القريـــب مـــنهم، لتجنـــب تبعـــات ذلـــك، فأصـــبحت أديـــرتهم محطـــات اســـتراحة وديـــة لمـــن يمـــرون بهـــا مـــن المســـلمين والبيـــزنطيين علـــى حـــد ســـواء[١٢٢]. أمـــا داخـــل بيزنطـــة نفســـها: فلـــم تـــذكر المصـــادر إلا القليـــل مـــن النمـــاذج البيزنطيـــة التـــي أســـلمت، أو مالـــت للإســـلام والمســـلمين، ولعبـــت دوراً فـــي الصـــراع العســـكري بـــين الجـــانبين. وتقـــدم لنـــا الســـيرة نموذجـــاً لهـــؤلاء البيـــزنطيين المســـلمين؛ عبـــر صـــفحات الســـيرة: هـــو "يوقنـــا" الـــذي لعـــب أدواراً كثيـــرة فـــي خدمـــة الجـــيش الإســـلامي، وتوضـــح الســـيرة شـــك "أرمانوســـة" فيـــه وفـــي انتمائـــه للإســـلام والمســـلمين.[١٢٣] وعلـــى أرض الواقـــع التـــاريخي فإننـــا لا نجـــد نموذجـــا يماثـــل هـــاتين الشخصـــيتين، اللهـــم ســـوى شخصـــية ســـاموناس Samonas الخصـــي البيزنطـــي ذو الأصـــل المســـلم، الـــذي تـــروى المصـــادر البيزنطيـــة، ذى أنـــه حـــاول تحـــذير ســـفير مســـلم، رشـــاه الـــروم لحمـــل رســـالة ســـرية إلـــى ثـــائر بيزنطـــي لاجـــئ فـــي بغـــداد، ثـــم قُـــبض عليه أثناء محاولته الهرب للمسلمين[١٢٤].

ويعلـــن الـــراوي **تفـــوق بعـــض الرهبـــان علـــى المـــؤمنين مـــن ديانـــات أخـــرى** ،وكأننـــا نلمـــح هنـــا **تعريضًـــا بالمســـلمين** الـــذين ينتمـــي إلـــيهم الـــراوي

١٢٢- الأمين أبو سعدة: بيزنطة في الملاحم ، ص ١١٥.

١٢٣ - سيرة فتوح مصر ، ق ١٤ ، ق١٥، ق ١٦ .

124 – Vita Euthymii, p. 55; G. Monachus, pp. 867–868; John Skylitzes, *Synopsis Historiarum*, p. 184, German trans., Hans Thurn, pp. 220– 221; Theophanes Cont., pp. 369–370; Symeon Magistri, p. 708; Cedrenus, *Compendium historiarum*, II, 264, 270 See Jenkins, 'The flight of Samonas', p. 232; P. Karlin–Hayter, 'The revolt of Andronicus Ducas', no. VI in idem, *Studies in the Byzantine political history.* C.f., R. Jenkins, 'The flight of Samonas', no. X in idem, *Studies on Byzantine history*, p. 221–222; L. Rydén, 'The portrait of Arab Samonas in Byzantine literature', *Graeco–Arabic,* 3 (1984) 101–108.

؛ الأمين أبو سعدة : بيزنطة في الملاحم ، ص ١١٠.

نفسه. وقد ازدادت صورتهم إشراقًا، حين قاموا بمساعدة خالد بن الوليد في التنكر بملابسهم وصلبانهم ليفتح مصر[١٢٥].

يعكس الراوي الانطباع الإسلامي العام الناقد للفكر الكنسي والرهبنة، وإن كان، في الوقت ذاته، يوضح المكانة التي كان يتمتع بها رجال الدين المسيحي، في المجتمع البيزنطي، بشكل عام، وخضوع الملوك لهم ولرأيهم، وما امتلكته الأديرة والكنائس من ثروات ونفائس، وكذلك العديد من أهل الذمة الذين أحرزوا ثروات هائلة[١٢٦]، الأمر الذي لفت نظر محاربي المسلمين "فَرَكِبَ القِبْطُ فِي زِينَتِهِم، وَقَادُوا المَمَالِيكَ الجَنَايِب بَيْنَ أَيْدِيهِم بِالزِّينَةِ الفَاخِرَةِ وَالسُّرُوجِ المُرَصَّعَةِ بِفُصُوصِ الجَوَاهِرِ وَاللُّجُمِ[١٢٧] المُحَلاةِ بِالذَّهَبِ وَالبَرَاقِعِ المَحْبُوكَةِ بِاللُّؤْلُؤ"[١٢٨].

إضافة للصورة التقليدية **لملامح البلاط البيزنطي** التي رآها رسل التفاوض بين الجانبين، حيث سرداق البطريق أو "بطلوس" الروم وما به من فرش وصلبان ذهبية تلفت نظر كاتب السيرة أكثر من مرة، وكأنى به يعكس صورة الانبهار بالبيزنطيين[١٢٩]، وما كانوا عليه من مراسم وزينة وبهاء شاعت أصداؤها في كتب المؤرخين المسلمين[١٣٠]، عن غنائم فتوح بلاد الشام، وما غنموه

١٢٥- سيرة فتوح مصر ، ق ٩٧ .

١٢٦ . ميكل ونتر : المجتمع المصري تحت الحكم العثماني (ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٧م)، ص١٦.

١٢٧- اللُجم: جمع "لجام".

١٢٨ - سيرة فتوح مصر ، ق٥٢.

١٢٩ - عن عرش أباطرة بيزنطة انظر وصف شاهد عيان للسفير اللاتيني ليودبراند من كريمونا Liudprand of Cremona الذي سافر إلى القسطنطينية حوالي عام ٩٧١م كسفير للإمبراطور أوتو الأول Otto I (٩٦٢-٩٧٣م):

The works of Liudpran of Cremona: Tit for tat, English trans. by F. A. Wright, (London 1930) p. 207. Cf. also, Brett, G. "The automata in the Byzantine [Throne of Solomon]" Speculum, vol. 29, issue 3 (Jul. 1954), pp. 477.487.

130- انظر البلوي: سيرة أحمد بن طولون، تحقيق، محمد كرد على، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٣٦؛ الأمين أبو سعدة: بيزنطة في الملاحم العربية ، ص ١٠٩ .

من معاركهم مع الروم ، كما قد يعكس **رغبة الوجدان الشعبي في كسر حاجز أسرار الكنائس**، وما يدور فيها، والكشف عن أدق تفاصيلها وما يجري فيها، في محاولة للتعرف على الآخر، وعاداته في الطقوس الكنسية والجنائزية .

نجد في السيرة **هيمنة الدين الإسلامي على المعتقدات الأخرى!** لا بد لمن يعتنقه من الفوز، ولمن يرفضه من العقاب! وتظهر ملامح الأنا المتفوقة حين تجسد السيرة الصراع بين الأنا والآخر، فتحقق، في أغلب الأحيان، الأنا انتصارًا على أعدائها، وتفرض شروطها على الآخر المسيحي، الذي غالبًا ما يكون كافرًا **(كُفرا سياسيًا)** وفي قراءة النص التالي من السيرة :" وَنَشْرُطُ عَلَيْكُمْ شُرُوطًا تَقْبَلُوهَا، أَن لا تَرْكَبُوا دَابَّةً، وَلا تُعَلُّوا دُورَكُمْ عَلَى دُورِ المُسْلِمِين، وَلا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عَلَيْهِم، وَلا تَبْنُوا فِي الإِسْلامِ بَيْعَةً وَلا دَيْرًا، وَلا تُجَدِّدُوا مَا انْدَثَرَ مِنْ رُسُومِ دِينِكُمْ وَشَرِيعَتِكُم، ..."[١٣١].

نجد الراوي هنا يفرض رؤيته وشروطه على الآخر الذمي، ويوجه له رسالة بعدم ارتفاع صوته أثناء قراءة الإنجيل، بينما يسمح لنفسه أن يجهر بصوته في قراءة القرآن. إنه صوت القوة المنتصرة التي تريد أن تفرض على الآخر دينها، متخليًا عن روح الدين ، وتناسوا أوامر الله تعالى لنبيه :" ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"[١٣٢].

تبدو لنا **الأنا المتفوقة، لدى الراوي** المسلم، مندفعة لتطبيق تعاليم الإسلام وطقوسه، ومن هنا نجد الآخر غير المسلم ما إن يسمع بهذا الدين ويرى أخلاق أبنائه حتى يسارع للإيمان به، واللافت للنظر أننا وجدنا مدحا له في سياق أحداث السيرة وحواراتها المطولة، فنجد البطريق أو الحكيم المسيحي، يقول على الدين الإسلامي:"وَإِنَّ الرَّحْمَةَ فِي قُلُوبِهِم، وَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا فَخَانُوا، ولا حَلَفُوا يَمِينًا فَحَنَثُوا، وَقَدْ بَلَغَكَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الدِّينِ وَالصِّيَانَةِ وَالصِّدْقِ وَالأَمَانَة"، وبذلك نعايش في السيرة **هوية الأنا**، فتبدو لنا صورتها على حقيقتها بعيدة عن الزيف والتجميل، وهى تعيش في **لحظة تاريخية مأزومة**، إذ تعاني انحطاطًا في المجال

١٣١ – سيرة فتوح مصر ، ق ٧٨.

١٣٢ – (القرآن الكريم ، سورة النحل ، الآية ١٢٥).

السياسي والاقتصادي، ولكنها تعيش ازدهارًا ثقافيًا !. لهذا ليس مستغربًا أن تجسد السيرة (الأنا) العربية الإسلامية في لحظة قهر، بسبب ما تعانيه من كوارث وغزو استبداد، فتبدو مؤرقة بأمجادها الحضارية، تسعى لاستردادها عبر الحلم، ما دام الواقع محبطًا[١٣٣]، لهذا كان عصر الفتوحات الإسلامية أبرز العصور التي شكلت الفضاء الزمني لسيرة فتوح مصر المحروسة، ومن بعدها سيرة فتوح البهنسا الغراء.

لهذا فإن الرواية، مهما استغرقت فى حبكتها الدرامية التى تبغى حصرها فى إطار زمانى، لا تستطيع إلا أن تفلت من عقالها وتتناول قضاياها الراهنة، وواقعها القريب الذى كان باعثاً فى الأساس إلى ظهورها، فتظهر لنا أصداء هذا الواقع؛ ويتضح أن سيرة "فتوح مصر المحروسة تعد "**أحد إفرازات هذه الحروب والمواجهة لشحذ الهمم** ضد "الصليبيين" الذين حلوا محل البيزنطيين في العداء، ونلمح ظلاً من الحقيقة تاريخية عن الحروب الصليبية، وسط الحبكة الدرامية للراوي، في سياق حديثه عن فتح دمياط، ومحاولته اختلاق الأحاديث المتعلقة بهذا الثغر المهم، في القرنين السادس والسابع الهجريين، وهو ما نجده في قول الراوي :"وَسَنَذْكُرُ فِي الجُزْءِ الثَّالِثِ عَشَرَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى فِي فَضَايِلِ دِمْيَاطَ وَسَلامَتِهَا مِنَ العَدُوِّ وَجُنْدِه، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَمُدُّهَا بِالمَلايكَة مِنْ عِنْدِه. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتُفْتَحُ عَلَى أُمَّتِي مِصْر، فَالْزَمُوا المَدِينَةَ البَيْضَا عَلَى شَاطِئِ البَحْرِ الَّتِي تُسَمَّى دِمْيَاط»"[١٣٤]

الراوي تأثر بتاريخ هجمات الروم والصليبيين البحرية على شواطئ مصر، وخاصة دمياط التي كانت الهدف الأول للتحالف الصليبي . البيزنطي، وقيام الإمبراطورية البيزنطية بتهيئة أسطول ضخم بقيادة (الكسيوس كونتو ستيفانوس)، فغادر

١٣٣ – ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي (الدار العربية للعلوم، بيروت ٢٠١٠م)، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١ بتصرف.

١٣٤ – سيرة فتوح مصر ، ق ١٠٧ ، ق ١٠٨ .

هذا الأسطول مياه الدردنيل (البسفور) سنة (٥٦٥هـ/١١٦٩م) باتجاه مصر[١٣٥]، **إضافة إلى الإسكندرية، طوال فترة** العصور الوسطى[١٣٦]، التي طالما تعرضت لها الثغور المصرية لعل أشهرها: ذلك الهجوم الوحشي المفاجئ الذي شنه "بطرس الأول لوزنيان" ملك قبرص الصليبي على مدينة الإسكندرية، سنة ١٣٦٥م[١٣٧]، أوجد روحًا من الكراهية وعدم الثقة المتبادلة بين المسلمين والمسيحيين، واستطاعت الاتصالات، ذات الطابع السلمي، من جانب القوى المسيحية أن تخفف من الاحتقان، والتي تشكلت من اتصالات كل من: الإمبراطورية البيزنطية، وملوك أرغونة "Aragon" وأباطرة الحبشة[١٣٨].

واهتم الراوي **بقصة دمياط في الفتح الإسلامي العربي** فنجد ثلاث مدن تقاوم مقاومة عنيفة، فلا تخضع إلا بعد جهاد مرير، ومعرفتنا بأخبار دمياط التفصيلية نجدها في هذه السيرة التي اعتمد عليها "ألفريد بتلر" اعتمادًا كاملا فيما يتعلق بأخبار فتح دمياط وإخنا وبلهيب والبرلس وتنيس وشطا وما حولها من مدن وقرى في شمال الدلتا[١٣٩]، فقد وجه الجيش العربي – بعد استيلائه على حصن بابليون – فرقًا منه بقيادة البطل العربي

---

١٣٥ – الذهبي،شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز:سير أعلام النبلاء،تحقيق،شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي،(مؤسسة الرسالة،ط٩، بيروت ١٤١٣هـ) ج٢،ص٤١٦؛ ابن شداد،بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية،(تحقيق، جمال الدين الشيال ،الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٤م) ، ص ٤١ ؛ الصوري ، وليم : "٥٨٣ هـ/١١٨٥م" : تأريخ الحروب الصليبية (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة ، سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت٢٠٠٣م) ،ج٢،ص ٩٣٦ ؛ رنسيمان، ستيفن: تأريخ الحروب الصليبية ،(ترجمة: السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت/د.ت)،ج ٣،ص٦٢٤.

136 – Stevenson , W . W . B : The Crusaders in the east , a brief history of the wars of Islam with the Latin in Sysia During the twelfth and thirtenth Centuries , Cambridge University . Printed in Lebanon by Slim press , Beirut , 1968 . p.196.

١٣٧ – المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك (تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيرووت ١٩٩٧م)، ج٣، ق١، ص١١٢وما بعدها.

١٣٨ – قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى دراسة وثائقية (دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م)، ص ٩١– ٩٣.

١٣٩ – انظر بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٢٤١ – ٢٦٢.

"المقداد بن الأسود" لإخضاع مدن الشاطئ الشرقي، وتقول السيرة: إن المدينة وقت الفتح كان يحيط بها سور قوي، وأن جندها بقى يقاوم مدة طويلة داخل هذا السور، فلما طال الحصار جمع (الهاموك) حاكم المدينة أصحابه وشاورهم في الأمر، فنصحه سوادهم بالتسليم، ولكنه خالفهم وظل يقاوم، وكان له ابن يسمى "شطا"، فخرج إلى المسلمين في الليل ودلهم على عورات البلد، فلم يشعر "الهاموك" إلا والمسلمون يكبرون على سور المدينة ويدخلونها، ثم سار الجيش العربي إلى تنيس، فلقى من حصانة موقعها – كجزيرة تحيط بها المياه – ومن حاميتها نضالا أشد وأعنف، وتعود الرواية في السيرة فتذكر أنه عندما اشتد النضال للاستيلاء على تنيس: تقدم شطا لمساعدة العرب – ومعه ألفان من الجند – فأعلن إسلامه واشترك في قتال أهل تنيس فأبلى بلاء حسنا، إلى أن استشهد في ليلة الجمعة النصف من شعبان سنة ٢١هـ، فقبر حيث هو الآن خارج دمياط[١٤٠].

وهذه الرواية لا تقف طويلا أمام النقد التاريخي، فإن مدينة شطا – التي يقال إنها سميت باسم هذا القائد المدفون بها – كانت موجودة ومعروفة بهذا الاسم قبل الفتح، كما أن حاكم دمياط في ذلك الوقت معروف أيضًا، وقد ذكر المؤرخ "حنا النقيوسي" أنه كان يسمى (حنا) لا (شطا)، ولا (الهاموك)، غير أننا مع هذا لا نستطيع أن نتجاهل بعض الحقائق الثابتة المتصلة بهذا الحادث، فالمؤرخون العرب يذكرون أن هذا البطل قد استشهد يوم الجمعة النصف من شعبان سنة ٢١هـ، وهو العام الذي تم فيه فتح هذه المنطقة، كما أن التقاويم تثبت أن هذا اليوم كان يوم جمعة حقًا، فإذا قارنا هاتين الحقيقتين بحقيقة ثالثة، وهى وجود قبر خاص في قرية شطا لا يزال قائما، ولا يزال أهالي دمياط يحتفلون بذكرى صاحبه، في النصف من شعبان من كل سنة، حتى اليوم، استطعنا أن نصل إلى أن قائدا رومانيا انضم إلى العرب فعلا؛ أثناء حربهم لدمياط وتنيس، وأنه استشهد في هذا التاريخ، ودفن في هذا المكان، أما اسمه الحقيقي فلسنا

١٤٠ – السيرة ، ق ١٠٩ ، وما بعدها .

نعرفه، ولكن هذا الاسم لم يكن "شطا" على كل حال[١٤١]، وإذا كان كذلك؛ فإنه لم يكن قطعا حاكما لدمياط أو ابنا لحاكمها[١٤٢].

وخلصت مصر للعرب بعد إتمام فتحها، ولم تنس الدولة البيزنطية أنها قد فقدت –بخروجها من مصر – خير أملاكها، فظلت قرونًا طويلة تغير على شواطئ مصر الشمالية بأساطيلها، عساها تستطيع استردادها[١٤٣]. وخاصة مع ظهور خطر أوربي جديد أخذ يظهر في الأفق، يهدد دمياط وسواحل مصر، كان ممثلا في **أساطيل النورمانديين في صقلية**، وأساطيل الصليبيين في سواحل الشام؛ بعد استيلائهم عليها في أعقاب الحملة الصليبية الأولى، في أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. وازدادت وطأة الغرات الصليبية على دمياط، في القرنين السادس والسابع الهجريين، ولكن دمياط صمدت لهذه الغارات، ودافعتها ودفعتها في شجاعة وبطولة[١٤٤].

فلاشك في **أن الدمار الذي حاق بالمدينة قد ترك آثاره السلبية في الوعي الشعبي**، ونتيجة لعجز حكامنا عن تقديم المبرر المقبول لما حدث، ونتيجة معاناة الناس من الحدث نفسه؛ نجد العلاقة بين بعض أحداث السيرة والحروب الصليبية وذيولها، لا سيما أن المصادر التاريخية تشير إلى كثرة اعتداء القراصنة على ميناء الإسكندرية ودمياط، في الشطر الأخير من عصر سلاطين المماليك، وعلى المعاناة التي نجمت عن تلك الحوادث، وما حاق بالمدينة من خراب أنتج نوعًا من العجز عن التفسير المنطقي للحدث، وعندما تصادم هذا العجز مع الرغبة في الثأر؛ لجأ الخيال الشعبي في سيرة "فتوح مصر" إلى الثأر بشكل تعويضي يتوافق مع النفسية، وما تعانيه أو تتطلع إليه في أمل، ووجد الخيال الشعبي الحل الذي يناسبه، بغض النظر عن المنطق التاريخي.

---

١٤١ – انظر/ ألفريد بتلر : فتح العرب ، ص ٢٦٠ ، ٢٦١؛ جمال الدين الشيال : مجمل تاريخ دمياط سياسيا واقتصاديا (ط ١ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ٢٠٠٠م) ، ص ٨ .

١٤٢ – جمال الدين الشيال : مجمل تاريخ دمياط ، ص ٩ .

١٤٣ – جمال الدين الشيال : تاريخ دمياط ، ص ١١، ١٢.

١٤٤ – مجمل تاريخ دمياط ، ص ١٧.

فالحروب الصليبية التي ازدهرت معها العديد من السير الشعبية العربية لتعزيز مشاعر الجهاد في نفوس سامعيها، على الجانب العربي والإسلامي، أدت أيضًا على الجانب الغربي – خاصة بعد نجاح الحملة الصليبية الأولى – إلى سيادة مشاعر الزهو بالانتصار والاحتقار، من جانب الفرنج الصليبيين، تجاه المسلمين، وأدى نجاح الحملة إلى تكريس صورة سلبية للإسلام، ولنبي الإسلام، في أثناء السنوات الأربعين الأولى من القرن الثاني عشر، كانت نتاجًا للحكايات الشعبية للمحاربين الصليبيين العائدين إلى أوربا، والمبالغات الخيالية التي حملتها "أغاني الحروب الصليبية"، وقد اخذ الأوربيون هذه الأساطير والخيال الشرير على أنها الحقيقة المطلقة. إذ إن كل ما كان أبناء الغرب الكاثوليكي يعرفونه آنذاك، عن حياة نبي الإسلام، عبارة عن شذرات متناثرة نقلها الكتاب الغربيون عن الكتاب البيزنطيين.

وعلى الجانب المسلم: كانت الصورة التي رسمها الخيال الشعبي عن "الآخر" تحمل قدرًا كبيرًا من التخيل العدواني، وكذلك كان الحال على الجانب الأوربي، بيد أن الرغبة في المعرفة حفزت كلا الطرفين على البحث عن الوسائل الكفيلة بتحقيق هذه المعرفة، وكانت الفرصة متاحة لأبناء المنطقة العربية، من خلال الكيان الصليبي الذي تعرف عليه المسلمون، بطريقة مباشرة، على النحو الذي كشفت عنه كتابات أسامة بن منقذ[١٤٥]، والكتابات التاريخية التقليدية التي تناقلت محتواها، وأضافت عليها السير الشعبية العربية التي كانت تنشد أو تروى بين الطبقات الشعبية المختلفة.

جدير بالذكر– على عكس المصادر التاريخية التقليدية – أن تتفق سيرة فتوح "مصر المحروسة" مع سيرة "فتوح البَهْنَسَا الغراء" ومع سيرة "الأميرة ذات الهمة" في أنهم يقدمون دورًا فاعلا **للعرب المتنصرة في الصراع البيزنطي الإسلامي**[١٤٦]، والذين انضموا

١٤٥ – قاسم عبده: مرجع السابق، ص ١٥٤.

١٤٦ – في سيرة فتوح مصر تجعل منهم ستمائة ألف ، سيرة فتوح مصر ، ق ٤٣ ، ق٤٤ ، ق ٤٥ ، ق ٤٦ ؛ سيرة فتوح البهنسا ، ص ٢٢٢ ، ص ٢٢٣ ، أما سيرة الأميرة ذات الهمة " تجعل من العرب المتنصرة أربعين ألفا وتأخذ أسلاب القتلى من كل من قتل من المسلمين ... ويكون معهم الرماح والعدد ويلبسوا العمائم ويرخوا لهم الذوائب على زي بني كلاب" السيرة: ج٣، ص ٣٢٧. قارن السيرة: ج ٤، ص ٢٤١؛ ج ٧، ص ١٣٧.

إلى الجيوش البيزنطية، وشاركوا بفاعلية في الحرب ضد المسلمين، وكذلك استغلت أسماؤهم ولغتهم العربية "وَكَانَ المَلْعُونُ فَصِيحَ اللِّسَانِ بِالعَرَبِيَّة"(١٤٧) واستغلوا مظهرهم العربي "ويُشْبِهُ زِيُّهم زِيَّ غَسَّانَ"(١٤٨) في خداع المحاربين المسلمين، من خلال أحداث السيرَّ، وهو الأمر الذي قد يكون انعكاسًا لما قام به "بنو حبيب" المرتدون في الحرب ضد المسلمين، في القرن العاشر الميلادي، وكانوا زهاء عشرة آلاف فارس، ووجدوا صدرًا رحبًا من السلطات البيزنطية، واستغلوا – حسب المصادر الإسلامية – معرفتهم السابقة بالعربية، وبطرق قتال العرب، وأيضًا بدروب الأرض الإسلامية؛ في إلحاق أشد درجات الأذى بالمسلمين، كما كاتبوا – بتشجيع السلطات البيزنطية – إلى أقربائهم في بلاد المسلمين يحثونهم على الالتحاق بهم في بلاد الروم(١٤٩)، ويذكرون لهم ما يتمتعون به من رعاية بيزنطية، وهو موقف يختلف كثيرًا عن موقف الأقباط المصريين المقيمين تحت الحكم البيزنطي، وإن بدا دورهم باهتًا، إلا عند الحديث عن بعض المساعدة السرية من الرهبان الأقباط للعرب(١٥٠). فلا نكاد نلمس أي لهجة عداء ضدهم على الإطلاق.

١٤٧ – سيرة فتوح مصر ، ق ٤٧ .

١٤٨ – فتوح مصر ، ق ٤٨ .

١٤٩ – الأمين أبو سعدة: بيزنطة فِى الملاحم ، ص ٣٢٠

١٥٠ – للمزيد حول مساعد الأقباط والرهبان للمسلمين ، انظر / بتلر : فتح العرب لمصر ، الفصل السابع والعشرون ، ص٤٥٤ – ٤٦١.

وختـــامًـــا:

إن السير الشعبية وهي تعيد إنتاج تاريخ الصراع الإسلامي البيزنطي، أثناء الفتح الإسلامي لمصر، لم تهتم كثيرًا بحقائق الحوادث والأماكن، والشخصيات التاريخية، والتتابع الزمنى في سياقها التاريخي الفعلي، وإنما وظفت ذلك كله في خدمة هدفها الفني بمضامينه الاجتماعية/الثقافية، بحيث تبرز دور العامة في إعادة تشكيل تاريخهم، وهو الدور الذي أهمله المؤرخون التقليديون لحساب الحكام.

كما أنها تكشف، وبشكل مثير، عن كيفية ورود أحداث الصراع الإسلامي البيزنطي، أثناء الفتح الإسلامي لمصر، إلى الذاكرة، وماهية رؤيتها لبدايات المجتمع المسلم الباكر في مصر، والمجتمع الذي عاش في رحابه رواة السير الشعبية، وأنها تمثل نمطًا من أنماط الذاكرة الاجتماعية. وسيرة فتوح مصر المحروسة في حقيقة أمرها: سيرة تنير السبيل أمامنا للتعرف على المواقف الوجدانية والشعورية الحقيقية للشعب إزاء الشخصيات والأحداث التاريخية، ومن ثم فإن الدراسة لم تستهدف كشف الأبعاد التاريخية التقليدية لأبطال وأحداث وأماكن صراع الفتح العربي لمصر في تلك الفترة من تاريخنا، بقدر الحرص على رسم صورة عامة وتقريبية لموقف العامة من مفردات التاريخ وأبطاله[١٥١]. كما ألقت ضوءًا، مفعما بالخيال الخصب، على بؤر جديدة لم تنتبه إليها مصادرنا التاريخية. عكست رؤية الوجدان الشعبي الجماعي لصورة الآخر (البيزنطي) من المنظور الديني[١٥٢] كما أنها قدمت، في الوقت نفسه، الكثير من المعلومات التي مرت بها المصادر التاريخية التقليدية المعاصرة عرضاً، أو تجاهلتها تماماً، وقدمت معلومات أمكن تأكيدها من المصادر الإسلامية والبيزنطية.

ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذا العمل "فتوح مصر المحروسة " الذي يعد نصًا يقع في منطقة الحدود بين التاريخ والأدب الشعبي – والحكاية الشعبية على وجه التحديد –

---

١٥١ – للمزيد عن الرؤية الشعبية للأحداث التاريخية انظر / قاسم عبده قاسم : بين التاريخ والفولكلور ، ص ١١٠ – ١٢٦؛ عمرو عبد العزيز منير: مقدمة قصة البهنسا ، ص ٥– ٩٥.

١٥٢ – الأمين أبو سعدة ، الملاحم ، ص ١٣٠.

وليس باعتباره نصًا تاريخيا، أما الأشعار والأمثال والحوارات الكثيرة بين أبطال الحكاية التي كانت من لوازم الحكي الشعبي – ولا تزال حتى الآن – فإنها ليست من العيوب التي قد يظن البعض أنها تشوب نص "فتوح مصر المحروسة"، ولكنها من خصائص هذا النص الفريد؛ الذي يمزج بين التاريخ والحكاية الشعبية، ويؤدي وظيفة مهمة في خدمة الباحثين في مجال الدراسات التاريخية، والباحثين في مجال الأدب الشعبي على السواء[١٥٣]، مع الأخذ في الاعتبار أن السير الشعبية تمثل مصدرًا لكتابة وقراءة التاريخ، إضافة إلى المصادر الأخرى، فالسيرَّ الشعبية لا تنشأ من فراغ ، بل تعبر عن واقع مجتمعي، واتفاقها أو تناقضها – في بعض الأحيان – لا يقلل من هذه الميزة – التعبير عن الواقع[١٥٤]، إذ كان الرواة الشعبيون واعين إلى درجة كبيرة بحقائق عصرهم المؤلمة، ومدركين لهامش التحرك الذي يمكنهم أن يتحركوا فيه، وباختيارهم لهؤلاء الأبطال التاريخيين برهنوا للطبقات الشعبية أن أسلافهم عرفوا رجالا عظامًا؛ حققوا انتصارات باهرة على البيزنطيين، أي أن البطل المنقذ الذي تنشده الطبقات الشعبية قد يظهر لمواجهة العدوان الجديد البيزنطي/الصليبي، ما دام قد ظهر في السابق، والانتصار الذي يحلم به الجميع من الممكن أن يتحقق، ما دام قد تحقق ذات يوم. وعاشت السير الشعبية؛ لأنها كانت هي التاريخ الذي يصدقه آلاف وآلاف من الناس – عامة وخاصة – والذي عاش ولا يزال يعيش عليه الكثير ممن يفوقون قراء الكتب العلمية عدداً وإيماناً بصدق التاريخ.

---

١٥٣ – قاسم عبده قاسم : واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني نهاية المماليك بين التاريخ والحكي الشعبي (دار عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ٢٠١٤م) ، ص ٢٣ ؛ روبرت إروين : ابن زنبل وقصة التاريخ ، ص ٢٥ – ٤٤.

١٥٤ – محمد رفعت عبد العزيز : الأمثال مصدرًا لدراسة التاريخ ، (دار عين للدراسات ، القاهرة ٢٠٠٣م) ، ص ٣٩ بتصرف.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات و المصادر العربية .

١. ابن الأخوة، "محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد القرشي" "ت ٧٢٩هـ" : معالم القربة في طلب الحسبة، (تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠١م)

٢. ابن الحاج ، " أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي والمالكي" "ت٧٣٧هـ/ ١٤٧٣م" : المدخل إلى الشرع الشريف ، (دار التراث ، القاهرة د.ت)

٣. ابن شداد ، "بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم" : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، (تحقيق، جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٤م)

٤. ابن عبد الحكم ، "عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عثمان عبد الحكم بن أعين بن الليث بن رافع""ت٢٥٧هـ" : فتوح مصر والمغرب، (تحقيق : على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٤م).

٥. أبو حيان، "علي بن محمد بن العباس التوحيدي البغدادي ، ت ٤١٤هـ" : البصائر والذخائر ، المجلد الثالث (تحقيق : إبراهيم كيلاني ، دار أطلس ، دمشق د.ت)

٦. البلوي" أبو محمد عبد الله بن محمد المديني (ت ق٤) : سيرة أحمد بن طولون، تحقيق، محمد كرد على، (مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٩٩م)

٧. الذهبي، "شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد": تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام "تحقيق بشار عوّاد معروف ، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٣م.

٨. الذهبي، سير أعلام النبلاء، "مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ، بيروت، د.ت"

٩. السيوطي، "جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر الشافعي" "ت٩١١هـ" : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، (جزآن، المكتبة التجارية بمصر، القاهرة ١٩٠٨م)

١٠.الصوري، وليم: "٥٨٣ هـ/١١٨٥م" : تأريخ الحروب الصليبية (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت٢٠٠٣م)

١١.مجهول: سيرة فتوح البهنسا الغراء، (تحقيق: عمرو عبد العزيز منير، ط١، سلسلة الجوائز، هيئة قصور الثقافة، القاهرة ٢٠١٢م) .

١٢.مجهول: فتوح مصر (منسوب لأبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني ، مخطوط بمكتبة أحمد الثالث برقم "أحمد الثالث ٢٨٩٠)

١٣.مجهول: فتوح مصر وأعمالها (مخطوط مصور بدار الكتب بالقاهرة برقم ١٠٥٨ تاريخ تيمور)
١٤.مجهول: فتوح مصر وأعمالها، (منسوب للشيخ الإمام ابن إسحق الأموي)، (مخطوط بدار الكتب والوثائق المصرية تحت رقم ١٤٢٠ زكية).
١٥.مجهول: فتوح مصر والإسكندرية، (منسوب لأبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني، تحقيق: هنريك آرند همقر، ط١، ليدن سنة ١٨٢٥م)
١٦.مجهول: فتوح مصر والفيوم والإسكندرية ودمياط وغيرهم من الجزائر والبلاد، (منسوب تأليفه للعالم العلامة الواقدي رضي الله عنه وأرضاه)، (مخطوط بدار الكتب والوثائق المصرية برقم ١٧٨٤تاريخ تيمور)
١٧.مجهول : كتاب فتوح مصر المحروسة على يد سيدي عمرو بن العاص (مخطوط بدار الكتب والوثائق المصرية ، تحت رقم ١٠٠ الحُسينى).
١٨.المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك (تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيرووت ١٩٩٧م)
١٩.المقريزي، "أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين "المتوفى: ٨٤٥هـ": المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،"٤أجزاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨ هـ"
٢٠.الواقدي ، "محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله "ت ٢٠٧هـ" : فتوح الشام (دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٧م)
٢١.ياقوت الحموي(شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي): معجم البلدان (ط٢، دار صادر ، بيروت ١٩٩٥م)

ثانياً : المراجع العربية والمعربة .

١. إبراهيم ، نبيلة : من نماذج البطولة الشعبية ف الوعي الشعبي ، (سلسلة معارف إنسانية ، العدد ٥ ، ط١ ، دبي١٩٩٣م)
٢. إبراهيم، نبيلة: سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسة مقارنة،(ط٥، المكتبة الأكاديمية، القاهرة ١٩٩٤م)
٣. أبو سعدة ، الأمين: بيزنطة في الملاحم العربية (ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى، تحرير حاتم الطحاوي، دار عين، القاهرة ٢٠٠٣م)

٤. احمد ، إبراهيم كامل: "فتوح البَهْنَسَا الغراء" ، كتاب من كتب المغازي الإسلامية (مجلة الفنون الشعبية، عدد ٤٦ يناير– مارس ١٩٩٥ م)
٥. إروين ، روبرت: ابن زنبل وقصة التاريخ (ضمن كتاب الكتابة وأشكال التعبير في إسلام القرون الوسطى، آفاق المسلم ، تحرير : جوليا براي ، ترجمة : عبد المقصود عبد الكريم ، إصدارات المركز القومي للترجمة ، العدد ٢٦١٩، ط١، القاهرة ٢٠١٥م)
٦. إسماعيل ، يوسف : الرؤيا الشعبية في الخطاب الملحمي عند العرب (منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٢٠٠٤م)
٧. بتلر، ألفريد: فتح العرب لمصر، (ترجمة محمد فريد أبو حديد، ط ٢ ، لجنة التأليف، القاهرة ١٩٤٦م)
٨. الجزار ، محمد فكري : العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، (سلسلة دراسات أدبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٨م)
٩. حرب، طلال: بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك ، (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٩م)
١٠.حمود، ماجدة: صورة الآخر في التراث العربي، (الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ٢٠١٠ م)
١١.الخضيري ، محمد : المناظرة العجيبة، وقائع مناظرة الإمام الباقلاني للنصارى بحضرة ملكهم (دار الوطن للنشر، الرياض ٢٠٠٠م).
١٢.خورشيد، فاروق: معادن الجوهر جولة في التراث،(ط ٢، سلسلة مكتبة الأسرة، القاهرة ١٩٩٩م)
١٣.دهمان ، محمد أحمد : معجم الألفاظ التاريخية فِي العصر المملوكي (دار الفكر ، دمشق ١٩٩٠م).
١٤.رمزي، محمد: القاموس الجغرافي "ق٢ ، ج٣، ج٤ ،(الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤م).
١٥.رنسيمان، ستيفن: تأريخ الحروب الصليبية،(ترجمة:السيدالباز العريني، دارالثقافة، بيروت/د.ت).
١٦.سركيس ، اليان : معجم المطبوعات العربية (مطبعة سركيس، القاهرة ١٩٢٨م).
١٧.شميس ، عبد المنعم: قصة البهنسا " مجلة الفنون الشعبية ، العدد الأول ، القاهرة).
١٨.الشيال، جمال الدين: مجمل تاريخ دمياط سياسيا واقتصاديا (ط ١ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ٢٠٠٠م).
١٩.شير، ادّي: كتاب الألفاظ الفارسية المعربة (ط٢ ، دار العرب للبستاني ، القاهرة ١٩٨٨م).
٢٠. عابدين، عبد المجيد: لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية ، (مطبعة الشبكشي ، القاهرة ١٩٦٤م).
٢١.عاشور، سعيد عبد الفتاح: الظاهر بيبرس (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١م).

٢٢.عاوو، صلاح الدين: الرواية الشفوية وأهميتها في حفظ التاريخ ، (مجلة المؤرخ العربي ، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ١٩٩٩م)

٢٣.عبدالعزيز، محمد رفعت: الأمثال مصدرًا لدراسة التاريخ، (دار عين للدراسات، القاهرة ٢٠٠٣م)

٢٤.عبد القوي، أحمد: آثار وَفنون البَهْنَسَا،(سلسلة التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٥ م)

٢٥.العدوي، إبراهيم أحمد: ابن عبد الحكم رائد المؤرخين العرب،(مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٣م)

٢٦.عطية أحمد محمد: مدخل لدراسة شخصية البطل الثوري في الرواية العربية ، (مجلة الأقلام، العدد ٩ ١٩٧٥م)

٢٧.على ، على السيد : التراجمة في عصر سلاطين المماليك (ضمن كتاب بحوث في التاريخ الاجتماعي من العصر المملوكي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠١٤م).

٢٨.على، على السيد: الرعاية الاجتماعية للجواري والعبيد السود في العصر المملوكي (ضمن كتاب بحوث في التاريخ الاجتماعي من العصر المملوكي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠١٤م)

٢٩.على، على السيد: دور الأسرى الأجانب في المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك (ضمن كتاب بحوث في التاريخ الاجتماعي من العصر المملوكي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠١٤م)

٣٠.عنان، محمدعبد الله: مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري (مكتبة الأسرة، القاهرة ١٩٩٩م)

٣١.عون ، عبد الرءوف : الفن الحربي في صدر الإسلام (دار المعارف، القاهرة ١٩٦١م)

٣٢.فرشوخ، أحمد: جمالية النص الروائي، مقارنة تحليلية لرواية "لعبة النسيان"، (درا الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط١،1996 م)

٣٣.قاسم، قاسم عبده: أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى دراسة وثائقية (دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م)،

٣٤.قاسم ، قاسم عبده : بين التاريخ والفلكلور،(ط٢، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ٢٠٠١م)

٣٥.قاسم، قاسم عبده : في تطور الفكر التاريخي، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة ٢٠٠٤م)

٣٦.قاسم ، قاسم عبده: واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني نهاية المماليك بين التاريخ والحكي الشعبي (دار عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ٢٠١٤م)

٣٧.القرشي، عالي سرحان: العلاقة بين الراوية والتاريخ (استنطاق، اختراق، تكوين)، (ضمن أبحاث ملتقى القاهرة الثالث للإبداع الروائي العربي، الجزء الثاني، الراوية والتاريخ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠٠٥م)

٣٨.كاشف ، سيدة إسماعيل : مصر الإسلامية وأهل الذمة ، (سلسلة تاريخ المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٣م)

٣٩.كاظم ، نادر : تمثيلات الآخر ، صورة الأسود في المتخيل العربي الوسيط ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، بيروت ٢٠٠٤م)

٤٠.كينيدي ، هيو : الفتوح الإسلامية كيف غير انتشار الإسلام العالم الذي نعيش فيه (ترجمة: قاسم عبد ، دار عين للدراسات ، القاهرة ٢٠١٥هـ)

٤١.منير ، عمرو عبد العزيز : الأساطير المتعلقة بمصر في كتابات المؤرخين المسلمين (ط٢ ، سلسلة مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠١٢م)

٤٢.منير ، عمرو عبد العزيز : الفتح الإسلامي لصعيد مصر في الوعي المصري الشعبي قراءة في مخطوط فتوح البهنسا الغراء (ضمن أبحاث مؤتمر التاريخ الحربي عبر العصور ، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ٢٠١٢م)

٤٣.منير ، عمرو عبد العزيز: مقدمة تحقيق كتاب فتوح البَهْنَسَا الغراء،(ط١ ، سلسلة الجوائز ، هيئة قصور الثقافة ، القاهرة ٢٠١٢م)

٤٤.النجار ، محمد رجب : الأدب الملحمي في التراث الشعبي (سلسلة الدراسات الشعبية ، العدد ١١٠ ، هيئة قصور الثقافة ، القاهرة ٢٠٠٧م)

٤٥.هالدون، جون: بيزنطة في حرب ٦٠٠ – ١٤٥٣م (ترجمة وتعليق : فتحي عبد العزيز محمد، دار ناشري، الكويت ٢٠١١م)

٤٦.هوروفقس ، يوسف : المغازي الأولى ومؤلفوها ، (ترجمة : حسين نصار ، طبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٩م)

٤٧.هولاند ، روبرت ج. : التاريخ والقصة والتأليف في القرون الأولى من الإسلام (ضمن كتاب الكتابة وأشكال التعبير في إسلام القرون الوسطى آفاق المسلم ، تحرير : جوليا براي ، ترجمة : عبد المقصود عبد الكريم ، إصدارات المركز القومي للترجمة ، العدد ٢٦١٩، ط١، القاهرة ٢٠١٥م)

٤٨.ونتر ، ميكل : المجتمع المصري تحت الحكم العثماني (ترجمة: إبراهيم محمد إبراهيم ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٧م) .

٤٩.يونس ، عبد الحميد: الظاهر بيبرس في القصص الشعبي (دار القلم ، القاهرة د.ت)

ثالثاً : المصادر والمراجع الأجنبية .

1. El-Cheikh, N. M. 'Describing the other to get at the self: Byzantine women in the Arabic sources (8th.-11th. Centuries)', JESHO 40,2 (1997) 240-250.
2. Georgius Monachus, *Chronicon,* ed. C. De Boor. (Leipzig: Teubner, 1904).
3. John Skylitzes, Synopsis Historiarum, ed. J. Thurn, CFHB, vol. V, Series Berolinensis, (Berlin 1978) German trans. Byzanz, wieder ein Weltreich: das Zeitalter der makedonischen Dynastie / nach dem Geschichtswerk des Johannes Skylitzes; ubersetzt, eingeleitet und erklart, Hans Thurn. (Graz: Verla Styria, c1983-), Byzantinische Geschichtsschreiber vol 15
4. Norris, H. T.: The futuh al – Bahnsa and its relaton to pseudo maghazi and futuh literature ,arabic siyar and Westera chanson de geste in the middle ages.
5. Paret,Ruidi (1970), Die legendare Futuh – Literatur, ein arabisches Volkseposp La poesia epica e la sua formazione, Accademia Nazionale dei Lincei, Atti 139.
6. Stevenson , W . W . B : The Crusaders in the east , a brief history of the wars of Islam with the Latin in Sysia During the twelfth and thirtenth Centuries , Cambridge University . Printed in Lebanon by Slim press , Beirut , 1968
7. Sviri, S., 'Wa-rahbābāniyatanibtada'ūhā: an analysis of traditions concerning the origin and evaluation of the Christian monasticism', JSAI 13 (1990) pp. 195-208.
8. The works of Liudpran of Cremona: Tit for tat, English trans. by F. A. Wright, (London 1930) p. 207. Cf. also, Brett, G. "The automata in the Byzantine [Throne of Solomon]" Speculum, vol. 29, issue 3 (Jul. 1954)
9. ThirryHentsch 'L'orientimaginaire: La vision politiqueoccidentale de l'estmediterraneen", arguments les editions de minuit, paris, 1988.